A-PDF Merger DEMO : Purchase from www.A-PDF.com to remove the watermark

أحبّ عبادة
عبدي إلي النصيحة

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

٢١١

الوعـــــي

العدد (٢١١) ـ السنة الثامنة عشرة ـ شعبان ١٤٢٥هـ ـ أيلول ٢٠٠٤م

تحريف الإسلام
بحجة تغيُّـر الأحكام بتغـير
الزمان أو المكان (٣)

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾

أيّها المسلمون:
لنصنع تاريخنا بناء على بشارات الرسول ﷺ

الأصوليات الجديدات
في الغرب...
حلم الخلافة يراودهن

علاقة نظام النقد الدولي بالاستعمار (٨)

آن الأوان (قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

السنة الثامنة عشرة – ٢١١

جامعية – فكـرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسـلات

ألمانيا

N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

ثمن النسـخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	١ يورو
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	١ يورو
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	١ يورو
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٤٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (٢١١)

- كلمة «الوعي»: أيها المسلمون: لنصنع تاريخنا بناء على بشارات الرسول ﷺ ٣
- رياض الجنّة: أحب عبادة عبدي إلي النصيحة ٥
- علاقة نظام النقد الدولي بالاستعمار (٨) ٦
- الأصوليات الجديدات في الغرب... حلم الخلافة يراودهن ١١
- أخبار المسلمين في العالم ١٧
- مستقبل البشرية ٢١
- تحريف الإسلام بحجة تغيُّر الأحكام بتغيُّر الزمان أو المكان ٢٥
- مع القرآن الكريم ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ ٣١
- آن الأوان (قصيدة) ٣٣
- كلمة أخيرة: النجف والفلوجة وما بينهما ٣٥

إلى السـادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في ألمانيا.

عناوين المراسـلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
D – 10749 Berlin
Germany

اليمن
جعبل أحمد عبد الله
P.O Box: 11056
Sanaa - Yemen

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
Al-Waie
Suite 298
56 Gloucester Rd
London SW7 4UB

كندا : Canada
AL - WAIE
Eglinton Ave. East ٢٣٧٦
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www.al-waie.org

بسم الله الرحمن الرحيم

أيّها المسلمون: لنصنع تاريخنا

كلمة الوعي

بناء على بشارات الرسول ﷺ

نشرت مجلة «تايم ماغازين»، في ٢٠٠٤/٨/٣٠، حديثاً لجورج بوش قال فيه: «لست مؤرخاً، أنا الشخص الذي يصنع التاريخ». ورداً على سؤال بشأن حرب مكافحة الإرهاب، قال: «إنه كفاح إيديولوجي طويل المدى».

إنه تحت أي تعريف للإرهاب، فإن بوش يعتبر الإرهابي الأول في العالم. وهو عن طريق إرهابه للعالم، ومعتمداً على قوة عسكرية غير مسبوقة في التاريخ كما يقولون، يريد أن يصنع التاريخ. وقد تجمعت لدى هذا البوش عدة أسباب جعلته يختار الإسلام والمسلمين هدفاً لسياسة بلاده، منها وجود النفط الذي يشكل أخطر سلعة استراتيجية، من يتحكم بها يتحكم بسياسات واقتصادات دول العالم ... ومنها وجود الإسلام الذي يملك إيديولوجيا ونظاماً صالحين يهددان ما عنده من إيديولوجيا ونظام فاسدين... ومنها عودة المسلمين إلى دينهم عودة تبشر بعودة الإسلام إلى واقع الحياة... ومنها أن بوش هذا تفتحت لديه ميول دينية، كان وراءها رجال دين يعرفون باسم المسيحيين الأصوليين، وهؤلاء يفسرون ما يعتبرونه حقائق الدين عندهم على أساس من نهاية التاريخ، ويلتقون مع اليهود في تفسيرهم هذا، وفي عدائهم للمسلمين... ومنها استغلال من يعرفون بالمحافظين الجدد، الذين يعودون بأغلبيتهم إلى أصول يهودية، لهذا التوجه لدى هذا البوش، والتأثير عليه باتجاه احتلال بلاد المسلمين، وتفتيتها من جديد على أسس عرقية، خدمة لأهداف (إسرائيل) أولاً.

من هذا المنطلق يريد بوش أن يصنع تاريخ المسلمين، ممارساً عليهم أبشع أنواع الإرهاب والإفساد في أفغانستان، وفي العراق، وفتح لليهود باب ارتكاب المجازر ضد المسلمين في فلسطين على مصراعيه، وسمح لهم أن يعيثوا في العراق فساداً، وقتلاً، واغتصاباً، واغتيالاً... لقد استحرّ القتل بالمسلمين من الأميركيين واليهود بغير حساب، حتى صار أهون ما يكون...

إنها حرب قذرة بكل معنى الكلمة، تخاض ضد المسلمين في كل مكان، والمسلمون فيها هم الطرف الأضعف، حيث لا يملكون دولةً، ولا جيوشاً، ولا إعلاماً، بل الأنظمة المفروضة عليهم، وجيوشها، وإعلامها، سيف مسلط على المسلمين بيد أميركا، تفتك بهم، وتلاحقهم، وتؤذيهم، لحساب أميركا... إنها حرب تستعمل فيها أميركا القوة المفرطة، لاستعمار المنطقة، ونهب خيراتها... وتتفنن فيها باستعمال كل ما لديها من أساليب المكر والخداع وقلب الحقائق، كي تشوه صورة الإسلام، وتمتلك المبرر لقتل المسلمين، وغزو ديارهم. وتستخدم من أجل ذلك جيشاً من المرتزقة يقوم أفراده بالأعمال القذرة، وينفذون مهمات سرية خاصة، ويتحركون كمدنيين. وهؤلاء يشاركون في عمليات الاختطاف، وتشويه صورة المقاومة، وهؤلاء فيهم الأميركي، والبريطاني، وفيهم من يطيل اللحية، ويتحدث بالعربية، ويحمل مسبحة... وقد أقر بوجودهم وزير الدفاع الأميركي رامسفيلد في رسالة وجّهها في ٢٠٠٤/٥/٤ إلى لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الأميركي. وهؤلاء أمن لهم بريمر الحماية والحصانة المطلقة التي تحميهم من أي مساءلة بـ«الأمر رقم ١٧» الذي أصدره في حزيران ٢٠٠٣ ثم جدد لهم تلك

الحصانة في ٢٠٠٤/٦/٢٨ ولأجل غير مسمى وذلك ضمن المائة أمر التي ألزمت بها أميركا الحكومة العراقية المؤقتة... لقد وصل الغرب، وعلى رأسه أميركا، إلى درجة متقدمة جداً من المكر، والخداع، وقلب الحقائق، حتى إن أحداث ٩/١١ وقعت، وفي رأس العالم، وليس المسلمين فقط، ألف شك وشك أن أميركا وراءها... هكذا يريد بوش أن يصنع تاريخ المسلمين...

إن التاريخ يصنعه القوي، فإن كان على باطل، كما هو الحال مع بوش، فإنه تاريخ ولا شك أسود، كما كان الحال مع أسلافه من أمثال نيرون وهتلر... وإن كان على حق، كما كان الحال مع المسلمين سابقاً، فإنه ولا شك تاريخ مشرق...

إن حرب أميركا على الإسلام والمسلمين هي حرب حضارات، ولا تقتصر على الجانب العسكري فقط، فهناك الجانب الإيديولوجي، وهو الأهم، وتريد أميركا أن تفرضه على المسلمين تحت شعار الإصلاح، وتطوير مناهج التعليم، وتطوير الخطاب الديني، وعن طريق الغزو الإعلامي الذي يروج لطريقة حياتها الفاسدة، وعن طريق فرض أنظمتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تحت مسمى القضاء على أسباب الإرهاب... لذلك هي تحتاج إلى وقت طويل. وهذا ما عناه بوش بقوله: «إنه كفاح إيديولوجي طويل المدى».

إن أميركا هذه، مع بوش أو غيره، ستعمل على فرض الجانب الإيديولوجي بالقوة؛ لأنها مفلسة، وخالية من القيم الروحية، والخلقية، والإنسانية، ويتحكم فيها الجشع، والطمع، ونهب ثروات الآخرين... لذلك لا يتوقع منها إلا الشر، والتجزئة، والاستعمار، وفرض الأنظمة الموالية لها، كما يحدث الآن في العراق، وكما هو مرشح أن يحدث في غيره... كل ذلك تحت مسمى الإصلاح.

لذلك، تناولت مبادرة باول للإصلاح الجوانب الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية. وفي نفس السياق اقترح وزير خارجية إسبانيا موراتينوس، في ٢٠٠٤/٩/٦، «تحالفاً استراتيجياً» مع العالم العربي والإسلامي لمكافحة الإرهاب يحمل أبعاداً «اجتماعية وثقافية واقتصادية»... إنها هجمة تتنافس فيها أميركا وأوربا على استعمار المسلمين وضربهم في دينهم.

أيّها المسلمون:

إن أميركا استطاعت أن تقتل وتدمر ولكنها لم تستطع أن تنتصر، ولم تستطع أن تقهر المسلمين في العراق، ولا أن ترغمهم على القبول بوجودها على أرضهم. وهي تتكبد الخسائر البشرية والمادية، والتي لو كشفت لكانت كفيلة بإسقاط بوش. هذا في الجانب العسكري... أما الجانب الفكري فإنها مفلسة، وأصبحت مكشوفة، لذلك لن تستطيع أن تصنع لنا التاريخ الذي تريده، بل نسأل الله أن يجعل فيما يحدث الخير والفرج للمسلمين، فتسفر عن وجود خلافة إسلامية، يقودها خليفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ويتحقق من خلالها نبوءة الرسول من إقامة خلافة راشدة، ومن بلوغ الإسلام المشرق والمغرب، ومن القضاء على اليهود، فيكون تاريخاً نصنعه، وعلى بشارة الرسول ﷺ، لا تاريخاً تصنعه أميركا على دعاوى باطلة وكاذبة وخاطئة...

إنه لا خلاص لنا إلا بالإسلام، وبخلافة إسلامية تحكم بالقرآن، وتقيم العدل في العالم، وما أجمل قول القائل من المسلمين: «ألا إن القرآن والسلطان توأمان. فالقرآن أس، والسلطان حارس. فما لا أس له فمهدوم. وما لا حارس له فضائع». اللهم إنا نسألك خلافة راشدة على منهاج النبوة، تعزُّ بها الإسلام وأهله، وتذل بها الكفر وأهله، اللهم آمين ❑

أحب عبادة عبدي إلي النصيحة

– روى مسلم عن رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً. قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم».

– خرّج أحمد من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: أحب ما تعبدني به عبدي، النصح لي».

– روى البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم».

– روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «حق المؤمن على المؤمن ست» فذكرمنها: «وإذا استنصحك فانصح له».

– روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: يرضى لكم أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم».

– أخرج أحمد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين».

– روى الشيخان عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، ثم لم يحطها بنصيحة، إلا لم يدخل الجنة».

– وفي مراسيل الحسن، رحمه الله، عن النبي ﷺ قال: «أرأيتم لو كان لأحدكم عبدان، فكان أحدهما يطيعه إذا أمره ويؤدي إليه إذا ائتمنه، وينصح له إذا غاب عنه. وكان الآخر يعصيه إذا أمره، ويخونه إذا ائتمنه، ويغشه إذا غاب عنه. كانا سواء؟ قالوا: لا، قال: فكذا أنتم عند الله عز وجل» خرّجه ابن أبي الدنيا.وخرّج الإمام أحمد معناه من حديث أبي الأحوص عن أبيه عن النبي ﷺ.

– قال الحسن وبعض أصحاب النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن شئتم لأقسمنَّ لكم بالله، إن أحب عباد الله إلى الله، الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببون عباد الله إلى الله، ويسعون في الأرض بالنصيحة».

– وقال الفضيل بن عياض، رحمه الله،: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة

– سئل ابن المبارك، أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله □

ملاحظة: ليس المقصود بولاة الأمور حكام المسلمين اليوم، فهؤلاء ولاؤهم لمن ولاهم من الكفار وليس لله تعالى. وإنما ولاة أمور المسلمين فهم من ولاهم المسلمون عليهم ببيعة شرعية على أن يحكموهم بكتاب الله وسنة رسوله.

علاقة نظام النقد الدولي بالاستعمار (٨)

بقلم: محمد فتحي سليم

لم يكن إصدار العملة الأوروبية الموحدة (اليورو) حدثاً اقتصادياً بحتاً، وإنما كان إلى جانب ذلك الحدث السياسي الأهم في تاريخ الاتحاد الأوروبي، أو تاريخ أوروبا عموماً، والحدث الاستراتيجي الذي سيغير كثيراً من موازين القوى الاقتصادية الدولية.

إن مجرد ظهور اليورو يعد هزةً كبيرةً لمكانة الدولار، الذي هيمن طيلة نصف قرن على عملات العالم، وكان سيد الأسواق. فإلى أي مدى ستساهم العملة الموحدة في تعجيل المشروع التوحيدي الأوروبي؟ وما حجم تأثير صدوره على العملات مثل الدولار والين؟ وما هي آفاق المواجهة المحتملة بين الدولار واليورو؟

رحلة اليورو أو نبذة عن اليورو

في اليوم الأخير من عام ١٩٩٨، ثبّت وزراء اقتصاد الدول الأوروبية في بروكسل أسعار الصرف بين اليورو والدولار، وكذلك تكافؤ سعر اليورو الرسمي بالنسبة لإحدى عشرة عملة أوروبية.

وفي اليوم الأول من عام ١٩٩٩ ولدت عملة اليورو رسمياً، واعتباراً من الرابع منه، فإن ٨٠% من العملة المتداولة في الدول الداخلة في منطقة اليورو أصبحت العملة الموحدة: الدفع بين البنوك، وقروض الدولة، وكذلك أسعار الأسهم والادخارات باليورو، وقد بات ممكناً الدفع في عمليات الشراء بعملة اليورو بواسطة الشيكات.

وفي الأول من تموز ٢٠٠٢، أصبح اليورو رسمياً العملة الوحيدة، واختفت العملات المحلية، وقد صدر (٣٠) مليار ورقة نقدية، و(٧٠) مليار عملة نقدية في الأسواق الأوروبية، والعملات الورقية سيكون لها وجه أوروبي واحد، وقد ترك لكل بلد حرية اختيار ما يناسبه لوجه العملة الثاني، ففرنسا مثلاً اختارت أن تبقي رموز الجمهورية، وإيطاليا شخصيات أثرية، والنمسا مظاهر الألب، وعلى الرغم من هذه التميزات الوطنية، فلن يمنع ذلك أي ألماني مثلاً من شراء سندوتش من باريس، ولذلك فقد انتهت مرحلة التداول المزدوج.

وقد وصفت ولادة اليورو بأنها الحدث الأعظم أهمية منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية، حدث لم يسبق له مثيل في تاريخ المنطقة، وإن وجدت في القرن التاسع عشر عملة الفرنك الجرماني، الذي ولد عام ١٨٠٣، وجمع اتحاد نقدي مكون من بلجيكا وسويسرا وإيطاليا واليونان.

ما كان في المستطاع توحيد أوروبا بقوة السلاح، لا في زمن نابليون، ولا في زمن هتلر. لقد أدرك الجنرال شارل ديغول بأن التعاون الفرنسي الألماني قادر على إنجاز مشروع توحيد أوروبا، فقد كان يكرر (ديغول) فرنسا وحدها لا تستطيع قيادة أوروبا، وألمانيا وحدها عاجزة هي الأخرى، ولكنهما معاً تستطيعان ذلك.

لقد اقتنع كبار المفكرين والسياسيين في فرنسا وألمانيا، أمثال جورج بومبيدو،

وجيسكار ديستان، وويلي برانت، وهلموت شميت، والذين ساروا على دربهم: الرؤساء فرانسوا ميتران، وجاك شيراك (الحالي) وهلموت كول، ولا ننسى جاك ديلور رئيس المفوضية الأوروبية، فكل واحد من هؤلاء وضع لبنة في هذا البناء، وكأنهم بذلك أصلحوا عملية التدمير التي أحدثتها نزوات نابليون، وبسمارك، وموسليني.

فوحدة أوروبا السياسية تحتاج إلى قاعدة اقتصادية. ومن هنا بدأ ديغول بإيجاد السوق الأوروبية المشتركة. وفي تموز ١٩٧٨، اتفق على مشروع الوحدة النقدية الذي وضعه ديستان ويقوم على ركيزتين:

١:- الحد من تقلبات أسعار الصرف بين مختلف العملات الأوروبية.

٢:- تأسيس بنك مركزي أوروبي.

وهناك أقوال أطلقت وهي أن أوروبا ولدت بالفعل مع ولادة اليورو. ويقول فريدمان الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد «إن هدف اليورو الحقيقي هو ربط ألمانيا بفرنسا بشكل يحول دون اندلاع أية حرب أوروبية ».

فاليوم تقف العملة الأوروبية الموحدة بين منطلقين: الأول هو السوق الأوروبية الكبرى التي استدعت إزالة الحواجز الجمركية، وحررت التبادلات التجارية. والثاني هو المنطلق السياسي الذي بدأ بعد انهيار جدار برلين وتوحيد الألمانيتين. وفي تقرير لصندوق النقد الدولي مؤخراً: توقع أن يكون نمو الناتج المحلي الإجمالي في منطقة اليورو ٢,٤% عام ٩٩. وبالمقارنة لما يجري في العالم، فإن هذا إنجاز مهم، فمعدل النمو في الولايات المتحدة لعام ٩٩ بلغ ١,٨%.

لا يختلف اثنان من المراقبين على أن الدولار كان مهيمناً على العملات العالمية كافة دون مزاحم. فالتقارير الاقتصادية تذكر أن احتياطات التبادلات العالمية لعام ٩٥ تشير إلى كون ٦١,٥% منها بالدولار و١٤,٢% بالمارك الألماني و٧,٤% بالين الياباني. وحررت النصوص التجارية العالمية عام ٩٢ بنسبة ٤٧,٦% بالدولار و١٥,٣% بالمارك و٤,٨% بالين. وعلى صعيد المعاملات التجارية في الأسواق والتبادلات. فإن غالبيتها بالدولار. والالتزامات الدولية فإن ٣٧,٨% بالدولار و١٧,٧% بالين و١٥,٦ بالمارك.

ويعتبر الاقتصاديون أن اليورو سيغير من النظام النقدي العالمي. ومما لاريب فيه، إن اليورو أخذ يهدد مكانة الدولار في التعاملات الدولية، والتبادلات التجارية، والاحتياطات النقدية، والمستندات المالية، ذلك أن الشركات، والمصانع الأوروبية، جعلت اليورو العملة الوحيدة التي تحرر بها فواتير تصديراتها، منذ أن صدر اليورو في ٩٩/١/١، ووافقتها العديد من دول شرق ووسط أوروبا، وبعض الدول في أفريقيا السوداء، واتخذت كثير من الدول العربية، والشرق أوسطية، من اليورو عملة ثانية تسعر بها موادها الأولية، وتضع جزءاً من احتياطها باليورو، وهذا ما يساهم في إضعاف الدولار، ويساهم في ارتفاع اليورو بسرعة، وها قد وصل في ٢٠٠٣ إلى دولار واحد وخمسة وعشرين سنتاً، وأكثر من ٤٤% من إجمالي مبلغ التعاملات التجارية في العالم، وكذلك في مجالات الأموال، والتبادلات البنكية المركزية.

إن اعتماد اليورو في قروض الدول التي كانت مسجلة بالعملات الوطنية، سيكون كافياً لكي يجعل من السوق الأوروبية احتياطياً هائلاً للاستثمارات الدولية (٥ آلاف مليار دولار). وعلى صعيد أسواق الأسهم، فإن العمل جارٍ لتأسيس

بورصة أوروبية كبرى يمكنها أن تشجع أفواج الأموال القادمة إلى أوروبا، وتسهيل دخولها، ويقدر الاقتصادي الأميركي (فريد برجستن) أن قيمة إعادة تحويل المستندات المالية بالدولار نحو اليورو، يمكن أن تصل إلى (٧٠٠) مليار دولار.

ومن ناحية ثانية، فقد أخذت دوائر المال الأميركية في اتخاذ إجراءات احترازية، من اتساع التعامل مع اليورو، ففي وول ستريت يتداول المعنيون في العديد من السيناريوهات المحتملة لإخضاع اليورو إلى متطلبات الدولار الدولية، ومنعه من المنافسة، سواء في فرض نفسه على تسعير المواد الخام عالمياً، أم في مجال التجارة الدولية، التي تسيطر دول الاتحاد الأوروبي على ١٨% منها.

ولكن يحذر العديد من الخبراء، مما يتضمنه أحد السيناريوهات، الذي يركز على قدرة المضاربات النقدية الأميركية، لإحداث أزمة نقدية مشابهة للأزمة التي أصابت النمور الستة في آسيا. على أن هذا الأمر لو حدث بالفعل، فسوف يودي بالاقتصادات الغربية كلها، وعلى رأسها الاقتصاد الأميركي، نظراً للارتباط الوثيق والتداخل بين الشركات الأميركية والأوروبية، ناهيك عن المصالح والمعاملات التجارية وغيرها؛ لأن تهاوي اليورو، بسبب المضاربات النقدية الأميركية، سوف تتهاوى معه بدورها أسواق المال الأميركية.

الاستعمار طريق أميركا لحل مشاكلها الاقتصادية:

وقد أطلق صندوق النقد الدولي (تحذيراً شديداً) من تبعات تدهور الوضع المالي في الولايات المتحدة على الاقتصاد الدولي، ونبه من أن العجوزات التي تعانيها في موازنتها المالية، علاوة على الارتفاع الكبير والسريع في صافي التزاماتها الخارجية، تنذر بتعريض الاقتصادين الأميركي والعالمي إلى (مخاطر جسيمة)، ما لم تتم معالجتها،خصوصاً مع وصول الدين العام إلى مستوى (٧) تريليونات دولار، أي ما يعادل ٧٠% من الناتج المحلي، واقترح أن تكون هذه المعالجة عبر خفض الإنفاق الحكومي، وزيادة الضرائب على استهلاك الطاقة.

ويقول الصندوق في تقريره: إن الثمن المحتمل لاستمرار العجوزات المالية الأميركية، سيكون انخفاض إنتاجية الاقتصاد الدولي ومداخيله. ويقول: إن موازنة الحكومة الفدرالية، التي تناهز تريليوني دولار بقليل، انتقلت من فائض يعادل (٢,٥%) من إجمالي الناتج المحلي في السنة المالية (٢٠٠٠)، إلى عجز يساوي نسبة (٤%) من إجمالي الناتج المحلي في السنة المالية (٢٠٠٣)، التي انتهت في أيلول الماضي، ويتوقع حسب مصادر وزارة الخزانة الأميركية أن يصل العجز إلى (٤,٥%) في المالية الراهنة، أي ما يعادل (٥٠٠) بليون دولار.

فإذا أضيف لذلك نقص كمية المخزون النفطي في الولايات المتحدة، حيث وصل إلى (٢٦٩) مليون برميل، وهو أدنى مستوى له منذ عام ١٩٧٥، وما يتطلب ذلك من زيادة في النفقات، لإعادة المخزون إلى وضعه العادي، أي بأن تزيد مشترياتها (١٠٠٠٠٠) برميل يومياً. كل ذلك يبين حجم ضعف الاقتصاد الأميركي، وزيادة العجز في ميزان مدفوعاتها عمّا هو عليه.

إن أميركا، وهي تعمل للحفاظ على هيمنتها العسكرية والسياسية على العالم، إنما يتم هذا على حساب الاقتصاد الأميركي نفسه،

ولذلك فإن المجتمع الأميركي اليوم يعيش بإمكانيات أكبر من الإمكانيات الذاتية للمجتمع. وهذا ما يدفع ساسة الولايات المتحدة أن يبحثوا عن حلول لمشاكلهم الاقتصادية من الخارج، بالهيمنة على ثروات الآخرين، بأي شكل من أشكال الاستعمار، الذي هو طريقة أساسية في النظام الرأسمالي، الذي تتبناه الولايات المتحدة. وهي لا تتورع عن خوض أشكال الاستعمار المختلفة، سواء أكانت عسكرية، أم سياسية، أم اقتصادية، أم نقدية ... الخ بحيث تمكنها من الهيمنة والنهب لثروات الدول الأخرى، وهذا ما درجت عليه، ولنرجع إلى الوراء قليلاً لنرى كيف كانت أميركا تجسد هذه السياسة عملياً.

عندما رأت أميركا أن الفرصة قد سنحت لها باشتعال الحرب العالمية الثانية، أخذت تخطط لتحقيق غايتين اثنتين هما:

أولاً: التطلع إلى نهب ثروات العالم الثالث، بإخراج الدول الأوروبية المستعمرة من مستعمراتها، ودخول أميركا اليها بدلاً منها، وقد حصل شيء من هذا، بأن وافقت بريطانيا على دخول أميركا في مناطق نفوذها بشركاتها، ورؤوس أموالها، وأن يكون لها الوجود الفعلي في تلك المناطق، وكان تثبيت ذلك بموجب اتفاق (الاطلنطي).

ثانياً: كانت لدى أميركا نيّة مبيتة لاستعمار أوروبا نفسها، ولذلك حاول القادة الأميركيون فرض استعمال الدولار عملة محلية لفرنسا، غداة تحريرها من الاحتلال النازي.

وحيث إنه حصل توازن جديد في أوروبا ببروز الكتلة الاشتراكية، عدلت أميركا عن خطتها، وتخلت عن مشروعها، واكتفت بمحاولة استغلال العالم الثالث مرحلياً.

هناك علاقة بين نظام النقد الدولي، ومن ورائه صندوق النقد الدولي، وبين الإمبريالية (الاستعمارية باستعمارها القديم والجديد). وهذه العلاقة جديرة بالاهتمام والبحث والتوضيح، وهي تظهر على مستويين:

المستوى الأول: نقدي - اقتصادي.

والمستوى الثاني: سياسي - اقتصادي.

أولاً المستوى النقدي الاقتصادي:

لقد فرضت أميركا، بموجب اتفاقية بريتون وودز، غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية، عملتها الورقية (الدولار) كأنها ذهب خالص، وفرضت للورقة سعراً ذهبياً وهو (٣٥) دولار لكل أونصة ذهبية. وبفرض التسعير هذا جعلت الدول تضع في خزائنها دولارات مع الذهب، ومن ثم أصبح ارتباط الأسعار مباشرة بالدولار، كما لو أنها مرتبطة مباشرة بالذهب، وانتشر هذا في العالم بموجب اتفاقية بريتون وودز، أي إن الدولار صار (عملة صعبة) عالمياً، من حيث تسديد المدفوعات والتبادلات التجارية، وبقي العملة الصعبة الرئيسية وحده نحو ثلاثين سنة إلى أن ألغى نيكسون نظام الصرف بالذهب، لعدم تمكن أميركا من المحافظة على نسبة السعر الذهبي للدولار، أي ٣٥ دولاراً للأونصة، كما نصت عليه اتفاقية بريتون وودز.

وبذلك كانت أسعار المواد الأولية مرتبطة بالدولار ارتباطاً حقيقياً من حيث القيمة، وليس ارتباطاً اسمياً فقط من حيث الدفع، فانخفاض قيمة العملة الأميركية (الدولار) يؤدي إلى انخفاض المواد الأولية، فوجود الدولار كعملة لتسديد المدفوعات الدولية، إضافةً لكونه عملة أميركية محلية، يسمح للولايات المتحدة بسرقة العالم بأكمله عن طريق آلية التضخم النقدي الداخلية، التي تصبح مباشرةً آلية تضخم عالمي. وبما أن قيمة

المواد الأولية تدفع بالدولار، فهي في انخفاض مستمر نتيجة وجود التضخم النقدي الأميركي.

إن الدول المصنعة كانت ترفع أسعار سلعها بتلك النسبة من التضخم، بينما الدول النامية عاجزة عن ذلك، بسبب ضغوط الاحتكارات الدولية، والشركات المتعددة الجنسيات.

أكثر من هذا، فإن وجود الدولار كعملة احتياطية وحده، إضافة لكونه وسيلة المدفوعات الدولية، أجبر الدول النامية على الاحتفاظ باحتياطاتها النقدية بالدولار، بينما كانت بقية الدول المصنعة تحتفظ بجميع كميات الذهب، التي تطرح للبيع في الأسواق الدولية، فقد كان الدولار سنة ١٩٧٠ مثلاً يمثل أكثر من ٨٥% من إجمالي الاحتياطات النقدية للدول النامية، وهذا ما خلق تبعية نقدية كاملة لعملات هذه الدول تجاه الدولار، حيث أصبحت أية أزمة يتعرض لها الدولار تنعكس مباشرةً على عملات العالم الثالث، وأكبر مثال على ذلك تعرض البنك المركزي الكويتي لخسارة نتيجة التخفيض تبلغ (٧٩,٦) مليون دينار كويتي، وذلك لضخامة مخزونه النقدي من الدولارات.

ثانياً على المستوى السياسي– الاقتصادي:

إن نصوص ميثاق صندوق النقد الدولي، كانت تهدف بوضوح إلى تأمين التبعية للدولار، ولسياسة الدولار، وكان هذا يكمن في طريقة تحديد حصص المساهمة، وربطها بحق التصويت، واتخاذ القرارات الهامة ولم يكن الصندوق يقوم بلعب دور مؤسسة إقراض دولية، فهذه كانت مهمة البنك الدولي، وبالتالي لم يكن الصندوق بحاجة لمساهمات في رأسماله.

ولكن عمل الصندوق هو الذي يسيّر نظام النقد الدولي. فالولايات المتحدة بحثت عن صيغة تمكنها من التحكم في سياسة الصندوق وعمله وقراراته، وكانت وسيلتها (القانونية) الوحيدة هي تحويل الصندوق إلى مؤسسة مالية دولية، تحتاج إلى مساهمات الدول الأعضاء في تكوين رأسماله. وهكذا جعلت حق المساهمة في رأسمال الصندوق محدداً بمعيارين: الأول: حجم الاحتياطي الذهبي للدول المشاركة، وهذا ما يناسب مصلحة واشنطن، والثاني: مدى الأهمية النسبية لعملة كل دولة في التجارة الدولية، خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وذلك بهدف مراضاة البريطانيين. أما دول العالم الثالث فإن حقها في المساهمة في الصندوق يكون هامشياً بالضرورة، لأنها كانت ترزح تحت الاستعمار الغربي.

إن حق التصويت، في الصندوق، لاتخاذ القرارات المهمة، هو حق نسبي يتناسب مع حصة مساهمة كل دولة في رأسمال الصندوق.

و بما أن الدول الإمبريالية كانت ترفض منح الولايات المتحدة الأغلبية القصوى، فقد اكتفت واشنطن بالحصول على حق النقض (الفيتو) حيث تم الاتفاق على أن تحتاج القرارات المهمة على نسبة ٨٥% من الأصوات. وفي الوقت نفسه، فإن الحكومة الأميركية تمتلك وحدها نسبة (٢٣,٤%) من حق التصويت. وبالمقابل تمتلك حكومات ست دول أوروبية، كانت معادية لألمانيا، نسبة من حقوق التصويت، تسمح لها بفرض (الفيتو) في حال اتفاقها مجتمعة. وبعد نهاية الحرب، ودخول ألمانيا واليابان إلى صندوق النقد الدولي، أصبح مجموع حقوق التصويت لأربعة عشر دولة إمبريالية يتجاوز نسبة ٦٧% من إجمالي حقوق التصويت. بينما تتقاسم بقية دول العالم ما تبقى ❑

[يتبع]

الأصوليات الجديدات في الغرب...
حلم الخلافة يراودهن

نشرت جريدة الشرق الأوسط، في أواسط حزيران الماضي، مقالاً حول أن نشاط بعض الحركات والتنظيمات الإسلامية، في الشارع البريطاني، ليس موجهاً فقط لتجنيد عناصر من الشبان البريطانيين، وإنما أيضاً بريطانيات يدرسن في الجامعات، أو يعملن طبيبات، ومهندسات، ومعلمات... وكلهن نطقن بالشهادة، وانضممن إلى حركات إسلامية تثير نشاطاتها ضجةً، وأحياناً انتقادات في بريطانيا. وجاء في المقال:

يقول قيادي في حركة أصولية في بريطانيا «إن الغربيات يدخلن الإسلام بعقولهن، وليس بالعاطفة فقط». ويضيف: «إن الهداية ليست حكراً على بشر»، قبل أن يستشهد بالآية القرآنية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص ٥٦]. ويتابع قائلاً: «الإسلام مادة فطرية سهلة، ليس فيها تعقيدات، ولذلك يجد الإنسان نفسه في الإسلام؛ لأنه ليس فيه كهنوت وألغاز وتعقيدات». ويتحدث أبناء التيار الإسلامي عن الكثير من البريطانيات، اللواتي اعتنقن الإسلام عن طريق الزواج، أو الصداقة، أو الاطلاع. وكانت وسائل إعلام بريطانية قدرت عدد البريطانيات، اللواتي اعتنقن الإسلام عن طريق الزواج، أو الدراسة، بحوالي ٧٧ ألف امرأة. وذكرت تقارير بريطانية أن أحداث ١١ سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١ دفعت فئات كبيرة من الشعب البريطاني إلى الاهتمام بالإسلام، والتعرف على قيمه وتقاليده.

وطبقاً لتقديرات مستقلة، فإن عدد المسلمين في بريطانيا يزيد عن ١,٥ مليون مسلم، منهم ٣٥٠ ألفاً من المنطقة العربية وأفريقيا، و١٦٠ ألفاً من الهند، و٢٠٠ ألف من بنغلاديش، و١٨٠ ألفاً من ماليزيا ونيجيريا، و٦١٠ آلاف من باكستان. وقد جاءت شهادة بعض المسلمات الجدد، اللواتي أصبحن ناشطات، في الدعوة إلى الإسلام، وإلى إقامة الدولة الإسلامية، على النحو التالي:

❁ هاديا.. عائلتها نبذتها بعد نطقها بالشهادتين

❁ تقول هاديا مسيح، ٢٦ سنة، إن عائلتها الهندوسية «نبذتها» بعد نطقها بالشهادتين. وهي حاصلة على بكالوريوس في إدارة الأعمال من جامعة بريطانية، وهي الآن أم لطفلين وربة منزل. لكنها تقول إنها لا تأسف على الفترة التي عاشتها من تاريخ حياتها، كهندوسية، قبل أن تنطق بالشهادة. وتقول أيضاً: «كنا كثيراً ما نتناقش حول الدين عندما نلتقي، لكنني كنت أشعر بالارتباك عند انتهاء المناقشة. كان لدي شعور بأن الدين الذي أعتنقه لا يتضمن إجابات على تساؤلاتي: كيف نعرف أن الإله موجود؟ وما هو الدليل على ذلك؟ وكيف أعرف أن ديانتي الهندوسية هي الصحيحة؟

وما هو الدليل على ذلك؟». وتضيف: «توصلت بسرعة إلى نتيجة مفادها أن لا دليل لدى أي دين. ناقشت تلك النتيجة مع بعض الأصدقاء المسلمين، لكنهم اختلفوا معي تماماً. كنت أتمسك بإصرار بأن يشرحوا لي وجهات نظرهم. كيف يقدم الشخص دليلاً على دينه؟ فإذا كان هناك دليل بالتأكيد، فإن العالم كله سيصبح مسلماً. لم أكن أدرك أن الإجابة التي سأتلقاها ستغير حياتي إلى الأبد». وتقول: «إن الإجابة تتناول ثلاثة مواضيع هي: الدليل على وجود خالق، والحاجة إلى رسول، والدليل على أن القرآن أنزل من الخالق. إثبات وجود الخالق يعتبر بمثابة ملاحظة عميقة للإنسان، وتأمُّلٍ في ما حوله. أما فكرة أن هذا العالم جاء من العدم، فقد كانت بالنسبة لي جديرة بالسخرية، كما أن تعقيدات الحياة المذهلة أبعد من أن تكون جاءت عن طريق الخطأ. لذا فإن إثبات وجود الخالق كان أمراً سهلاً نسبياً». وتوضح: «إن القرآن معجزة لغوية لا تضاهيها معجزة حتى يومنا هذا؛ لأنه لم يصدر عن بشر. أطلعني أحد الأصدقاء على الآية التالية من المصحف»: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة]. وتقول: «أصبت بالصدمة عندما قرأت هذه الآية، وشعرت وكأن الله يوجه هذا الحديث إلي وحدي. شعرت بالحاجة إلى معرفة المزيد، وكنت كلما أقرأ حول الإسلام أزداد قناعة. أدركت على سبيل المثال أن الإسلام لا يقتصر فقط على الصلاة، والذهاب إلى المسجد، وإنما هو طريقة حياة. الإسلام يدخل في كل تفاصيل وظروف حياة الإنسان، في القضايا المتعلقة بالقانون، والمجتمع، والسياسة. هذا الجانب من الإسلام هو أكثر ما أثار دهشتي؛ لأنني كنت أشعر بأن هذه الجوانب في الحياة هي التي تعاني من الخلل والعيوب». وتواصل: «أسرتي متمسكة بقوة بالديانة الهندوسية؛ ولم يعجبها بالطبع اعتناقي للإسلام. تعرضت للابتزاز العاطفي من جانب والدي، ووالدتي، وأقربائي من ناحيتي الأم والأب، وأصدقاء أسرة جدتي. كانوا يأتون إلي حيث أسكن في الجامعة، ويهددونني، وحذروني من أنني إذا لم أكف عن ما أفعله، فإنهم لن يسمحوا لي بالاقتراب من أي من أفراد الأسرة». وتستطرد قائلة: «لقد نبذتني الأسرة، ولم أتمكن من رؤية أي من أفراد أسرتي، منذ اليوم الذي اعتنقت فيه الإسلام، قبل سبع سنوات. إلا أن والدتي ووالدي وشقيقي قبلوا في نهاية الأمر اعتناقي للإسلام، فهؤلاء هم الأكثر أهمية بالنسبة لي، وسأسعى إلى إقناعهم باعتناق الإسلام». وتؤكد قائلة: «ليس ثمة شك في أن حياتي تغيرت تماماً بعد اعتناقي الإسلام، تغيرت بالطبع إلى الأفضل. فالإسلام يعلم الشخص كيف يعيش حياته، دون أن يصاب بالارتباك والتشويش. فأنا الآن أحتكم إلى الشريعة كمرشد لي في الحياة، ومفتاح للنجاح في الحياة الآخرة. أنا الآن أم لطفلين، ويمكنني القول إن حياتي تخضع للالتزامات التي يمليها علي دوري كأم، فضلاً عن الالتزام المتمثل في السعي للحصول على المعرفة، ونشرها، ونشر

الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ». وتقول: «المسلمون اليوم في حاجة إلى خليفة يقودهم إلى النصر، وإزالة الظلم عن العالم. هذا ما يشغل حياتي الآن، وأعمل مع حزب التحرير كوسيلة لتحقيق التزاماتي. حزب التحرير يساعدني على السعي للمعرفة، وأعضاؤه ينشطون في نشر المعرفة من خلال الخطب، والندوات، والمؤتمرات، وهم يعملون لتهيئة الأرضية اللازمة لإقامة الدولة الإسلامية. الحلم قد يطول، لكني على قناعة أنه سيتحقق يوماً ما».

❁ أم رشيد كانت معجبة بحياة أسرة مسلمة

❁ أم رشيد تبلغ من العمر ٣٢ عاماً، وهي ربة منزل، وتعيل ثلاثة أطفال، وحاصلة على بكالوريوس من كلية المعلمين. وتقول إنها عملت مدرسة، وهي اليوم تؤمن بأفكار «حركة المهاجرين» التي يتزعمها الإسلامي السوري عمر بكري. وتقول أم رشيد إنها عندما نطقت بالشهادة، عام ١٩٩٥، كانت تعرف القليل عن الإسلام، لكنها كانت معجبة إلى حد بعيد بطريقة حياة أسرة مسلمة من أصدقائها. تقول أم رشيد: «وجدت في الإسلام شيئاً يمنحني الانتماء، والإحساس بالهدف، وإن الأمور تسير على طبيعتها، وفي الطريق الصحيح. ويمكنني القول إن الحضارة التي نشأت فيها كانت دائماً تثير تساؤلاتي، فهي فارغة، وتثير الشكوك، لا سيما في طريقة تعبيرها عن الفنون». وتوضح: «كل ذلك ناتج عن عدم فهم الغرض من الحياة. أما الإسلام فيمنح المرأة طريقاً خالياً من العقبات. الردّ المنطقي هو أن المسلم يعرف لماذا هو موجود على هذه الأرض، وكيف يجب أن يتصرف في حياته». وتقول أم رشيد إن عائلتها لم تسبب لها أي مشكلة بسبب اعتناقها للإسلام.

وعن كيفية إيمانها بأفكار الحركة الأصولية، تقول أم رشيد إنها دعت الله أن يزيد من علمها وفهمها للدين الجديد، وعن طريق أخت كانت تلبي نهمها للجديد من الكتب الإسلامية، أصبح فهمها يزداد، يوماً بعد يوم، عن أفكار تطبيق الشريعة، وما يحتاجه المسلمون في الغرب. وتقول إنها تقترب من الإسلام أكثر، كلما تستمع إلى أشرطة عمر بكري زعيم حركة «المهاجرون» التي تتبادلها مع زميلاتها في الحركة الأصولية.

❁ آن حنا: طبيبة نفسانية تحولت من الأرثوذكسية اليونانية إلى الإسلام

❁ آن حنا: إنجليزية تبلغ من العمر، ٣٠ عاماً، تعيل طفلاً واحداً، وتقترب من الانتهاء من رسالتها للدكتوراه في علم النفس. كانت تؤمن بالمسيحية الأرثوذكسية قبل اعتناقها الإسلام. وتقول عن أسباب اعتناقها الإسلام: «لجأت إلى الدين الحنيف؛ لأنني كنت على قناعة تامة بصدقه. وجدت صعوبة في اتخاذ هذا القرار، بسبب خلفيتي، وتديني بمذهب الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية. كنت أعلم أن الإسلام هو الحقيقة الواضحة على المدى الطويل».

لكنها رغم ذلك كانت خائفة من الاعتراف بالإسلام أمام عائلتها. وعندما نطقت بالشهادتين، تقول إن حياتها تغيرت تغيراً شاملاً، «وبسبب تعرضي لكثير من المضايقات في الفترة

الأخيرة، فقد ساعدني الإسلام على الصبر، ولو كنت غير مسلمة، عند مواجهتي هذه المضايقات، لكنت انتحرت».

وعن أسباب انضمامها إلى حركة «المهاجرون» الأصولية تقول آن، إن الحركة ساعدتها على تقوية إسلامها، وتنفيذ واجباتها تجاه الدين. وتقول: «إنها كامرأة مسلمة تريد مساعدة العالم لنشر الإسلام، ليس فقط في حياتنا الفردية، ولكن في مجتمعنا بأكمله».

❁ إيمان تسعى لنشر أفكار «الدعوة» بين بنات جنسها

❁ إيمان أمين، ٢٧ سنة، بريطانية، اعتنقت الإسلام قبل خمس سنوات، عندما كانت تدرس في الجامعة، قبل أن تحصل على بكالوريوس الهندسة الميكانيكية. تركت إيمان مهنة العمل الميكانيكي، بعد أن تزوجت وأنجبت طفلين، وهي اليوم متفرغة لخدمة زوجها، وتعلّم العلوم الإسلامية، والفقه، والشريعة، لتصبح داعية في محيط عائلتها وأقربائها. وتقول إيمان أمين، العضو في حزب التحرير الإسلامي في بريطانيا: «سبحان الله، لا أصدق أني مسلمة منذ خمس سنوات. لقد مرت الأيام بسرعة بالغة. إنها بركة من الله أن هداني إلى الطريق القويم. لقد حدث انقلاب في حياتي، لكنني لا أعرف تحديداً الشرارة التي قلبت حياتي رأساً على عقب، ونقلتني من شرور الضلال إلى طريق الهداية والنور». وتقول أن عائلتها التايلاندية الأصل جاءت إلى بريطانيا في بداية التسعينات، حيث عمل والداها، بجد ونشاط، كأي مهاجرين يسعيان إلى توفير حياة كريمة لأولادهما، لكنها كانت حتى بعد دخولها الجامعة تشعر بفراغ روحي. وتقول إنها في الجامعة وجدت نفسها أمام الإسلام بدون «رتوش»، أو مجاملات. وتقول إنها «شاهدت آثار الدين الجديد على وجوه زميلاتها المحجبات والمنقبات، وفي طريقة تعاملهن البسيطة الخالية من الغلو، والتكلف».

وتضيف أنها قبل أن تتخرج من الجامعة، كانت تفكر كثيراً في تحقيق ذاتها، مثل الحصول على الزوج، والسيارة، ومسكن الزوجية، لكنها لم تفكر أبداً في الحياة الآخرة، وما ينتظرها من نعيم أو عذاب في الدار الآخرة. وتقول: «كنت أسأل نفسي كيف يتسنى لي أن أعرف أن الإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله لعباده؟ ولكن الله كان ينير لي الطريق، من أبواب واسعة، حتى نطقت بالشهادة: شهادة أن لا إله إلا الله، محمد نبي ورسول الله إلى العالمين». وتعتبر إيمان أن اعتناقها الإسلام مرّ بمراحل دراسة وبحث، قرأت فيها العديد من الكتب الفلسفية والدينية، خلال المرحلة الجامعية. وتضيف أن بعض زميلاتها المسلمات في الجامعة لم يكنّ يستطعن الإجابة على الكثير من أسئلتها الحائرة عن الدين الجديد، حتى التقت بعض عضوات حزب التحرير الإسلامي، اللاتي استطعن أن يقدمن لها الدواء الشافي في صورة كتب حزبية، تتحدث بالإنجليزية، عن القرآن، والسنة، والتكاتف الإسلامي، وحلم تحقيق الخلافة الإسلامية التي أُسقطت عام ١٩٢٤. وتقول إنها مع عضوات حزب

التحرير، شعرت أن «العالم الدنيوي الذي نعيش فيه أشبه بمحطة قصيرة، ويجب أن نستثمرها في العبادات بصورة أفضل. كلما قرأت أكثر في الكتب الإسلامية، كنت أراجع الكثير من حساباتي، بعد أن تفتحت عيناي على واقع المسلمين المضطهدين في أماكن كثيرة من العالم».

وتقول إنها تقدمت في فهم الإسلام بشكل أكمل، وكانت تضع نصب عينيها الآية القرآنية الكريمة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران]. وتقول إيمان، العضو الآن في حزب التحرير، إن عليها واجب نشر الدعوة بين بنات جنسها، من خلال تعريفهن بأفكار الحزب، التي تعرفت عليها في كتب مثل «التكتل الحزبي» و«نظام الإسلام». وشاركت إيمان، الأسبوع الماضي، في مظاهرة أمام السفارة الأميركية في لندن، احتجاجاً على انتهاك حقوق السجينات في العراق، ورفعت شعارات تقول: «لن نقف صامتين أمام إذلال المسلمين في العالم، وخصوصاً إهانة أخواتنا وإخواننا في العراق». وتقول الناشطة الإسلامية الشابة التي عاشت وتربت في الغرب: «الحرية لم تجلب إلا التعاسة والشقاء لمن رأى وشاهد مرارة ثمار هذه الثقافة. ليس من الغريب إذاً أن نتجنب الطريقة العلمانية في الحياة، ونعتقد، وبكل اقتناع، أن هوية المرأة المسلمة هي الهوية التي حددها الإسلام، ولا تعنينا وتطرشنا الأكاذيب التي تشاع ضد الإسلام وطريقته في معاملة المرأة؛ لأن الإسلام وحده هو الذي حافظ على عزة وشرف المرأة، وأعطاها الحماية والمنزلة التي تستحقها».

❁ عليّة تعرفت على طَعم الإسلام في أندونيسيا

❁ عليّة رفيق، ٢٤ سنة، تقول إن الإسلام أثر فيها كثيراً خلال زيارة عابرة إلى أندونيسيا مع والديها، عندما كانت في الثامنة عشرة من العمر. وتضيف أن دخولها الإسلام عبارة عن قصة طويلة، لكن البداية كانت في أندونيسيا، حيث كانت تنقلاتها مع أفراد العائلة تتم تحت حراسة مشددة، خوفاً من اختطافها من قبل أصوليين متشددين في الأرخبيل. وتشير إلى أن تلك الأجواء أزالت الغشاوة، ولأول مرة، عن عينيها، إذ بدأت تفكر في الوجه الآخر للإسلام، الذي يدعو إلى التسامح، والمحبة، والرحمة، ويحمل رسالة هداية إلى جميع الأمم. وتقول إنها رأت الحجاب أول مرة في أندونيسيا، ترتديه مسلمات بفخر واعتزاز. تعرفت هناك على أذان المساجد، الذي كان يضايقها في البداية. وبعد أن عادت إلى بريطانيا في سبتمبر (أيلول)، أصبح همها الأكبر قراءة أكبر عدد من الكتب عن الإسلام، ومناقشة الكثير من الآراء مع زميلاتها المسلمات، وفي منتصف فبراير (شباط) كانت قد نطقت بالشهادتين. وتقول إن حياتها تغيرت كلياً بعد دخولها الإسلام، إذ إن طعامها، وملبسها، وشرابها، كله تغير، وصار يتماشى مع القرآن والسنة. وتقول إنها بدأت تقتنع بأفكار حزب التحرير بعد لقاءات مع أعضاء في الحزب، وجدتهن يترجمن تلك الأفكار على أرض الواقع. وتقول: «في الحلقات الدراسية الأسبوعية،

كنا ندرس أدبيات الحزب مع العضوات المتقدمات، ونركز على مشروع النهوض بالأمة الإسلامية من الانحدار الشديد، الذي وصلت إليه، وتحريرها من سيطرة الدول الكافرة ونفوذها، إضافة إلى العمل لإعادة الخلافة. وتستشهد عليه بآيات قرآنية لتأصيل عمل حزب التحرير، وخصوصاً الآية الكريمة: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [آل عمران ١٠٤]. وتقول إن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين في هذه الآية بأن تكون منهم جماعة متكتلة، تقوم بأمرين اثنين: أولاً: الدعوة إلى الخير، أي الدعوة إلى الإسلام وثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتضيف أنها تحمل دعوة الحركة الإسلامية في قلبها، وعقلها، وعلى لسانها، عند لقائها بالمسلمين، وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى. وتقول إن التكتل بين المسلمين يجب أن لا يكون على غير أساس الإسلام؛ «لأن الإسلام هو وحده المبدأ الصالح في هذا الوجود، فهو مبدأ عالمي يتفق مع الفطرة، ويقوم على معالجة أمور الإنسان، وطاقاته الحيوية، من غرائز، وحاجات عضوية، وينظمها، وينظم إشباعها تنظيماً صحيحاً».

❁ بتولا: اعتناق الإسلام يجب أن يأتي من العقل أولاً.

❁ بتولا جونز: ربة بيت، متزوجة، ولديها ٣ أطفال، وتبلغ من العمر ٣٠عاماً. وتقول عن اعتناقها الإسلام: «إنها وجدت نفسها في مواجهة مع الغرب الموحش، بكل آفاته من الخمر والعري الفاضح». وتضيف: «لم أتعرف على طريق الهداية إلا عن طريق ناشطة في الحركة الإسلامية، احتضنتني، وأخذَت بيدي إلى طريق النور»، وقدمت لها الكتب، والإجابات، على ما يشغل بالها من أسئلة حائرة. وبتولا متزوجة من شاب باكستاني، ولديها منه ثلاثة أطفال. وتتذكر الأيام الأولى لدخولها الإسلام، عندما كانت أمها وشقيقاتها ترفضان الظهور معها في الشارع والسوق؛ لأنها ترتدي الجلباب الطويل، والحجاب. لكن بعد فترة أدركت عائلتها أنها لن تتغير. وتقول: «إن اعتناق الإسلام يجب أن يأتي من العقل أولاً، وليس من القلب، بفعل العاطفة». وتضيف أن زوجها الباكستاني، لم يكن ملتزماً، في بادئ الأمر، لكنه تغير بعد أن ثبت التزامها بالدين الجديد. وتقول إنها، بعد اعتقادها بمبادئ حزب التحرير، تغيرت كلياً تجاه «مظاهر الكفر» في المجتمع، مثل المشاركة في احتفالات أعياد الميلاد، والاختلاط بين الرجال والنساء. وتقول: إنّ حياتها قبل الإسلام «كانت مليئة ببعض المآسي، مثل وفاة شقيقها في سن صغيرة بسبب إدمانه على الخمر، ووفاة والدها الذي حرمت منه في سن صغيرة، وإدمان أزواج بعض صديقاتها على القمار». وتقول إنها مقتنعة بأن الإسلام يقدم حلولاً ناجحة لكل تلك المشكلات.

ويضم حزب التحرير، في عضويته، الرجال والنساء، من المسلمين، بغض النظر عن كونهم عرباً أو غير عرب، بيضاً أو سوداً، فهو حزب لجميع المسلمين، ويدعو جميع المسلمين لحمل الإسلام، وتبني أنظمته، بغض النظر عن قومياتهم، وألوانهم، ومذاهبهم، على حد قول بتولا جونز ❑

خطاب تقدير من القوات الأميركية للموانئ الكويتية

نشرت جريدة الرأي العام الكويتية، في ٢٠٠٤/٨/١، أنّ مؤسسة الموانئ الكويتية تلقت كتاباً من القوات الأميركية، يعبر عن تقديرها، لنجاح المؤسسة في إتمام أضخم عملية لنقل المعدات العسكرية، منذ الحرب العالمية الثانية، وذلك على مدار سنتين، ومن خلال ميناء الشعيبة، في إطار مساعدتها للقوات الأميركية، للتحضير لحرب تحرير العراق. وذكر بيان صحافي للمؤسسة، أن مدير عام المؤسسة الشيخ الدكتور صباح جابر العلي تلقى خطاباً من قيادة القوات الأميركية، يشيد بالعمل الممتاز الذي قامت به المؤسسة، وإدارة ميناء الشعيبة، لإتمام المهمة بنجاح، وطبقاً للمعايير العالمية. ولقد أثنت قيادة القوات المركزية الأميركية على ما أحيطت به هذه العمليات، من إجراءات للحماية والأمن، تخطت في مستوياتها العديد من النظم المطبقة في مرافئ العالم المختلفة. وأكد البيان أن الجهود المضنية المبذولة من قبل مؤسسة الموانئ الكويتية في التعاون، والتخطيط، والمساعدة المشتركة، مع قيادة القوات المركزية الأميركية، من أجل تذليل العقبات، وتسهيل خطوات تلك العملية الضخمة، مضافاً إليها استعدادات الميناء الرائدة، وتجهيزات مرافقه المتقدمة، قد ساهمت في نجاح هذه العملية، التي تعد الأضخم من نوعها، خلال العقود الستة الماضية. وأكد البيان أنّ المؤسسة أثبت جدارتها في الأزمات، وخصوصاً خلال حرب تحرير العراق. كما حظيت بثقة الأمم المتحدة، عندما تم اعتماد موانئ الكويت، من قبل برنامج النفط مقابل الغذاء، المطبق مع العراق. كما اعتمدت اليابان موانئ الكويت، كمحطة رئيسية لنقل مساعداتها، ومستلزمات وحدتها الموجودة في العراق ❑

رئيس حكومة باكستان: اقتصادي أميركي

أدت مسيرة شوكت عزيز المهنية، كاقتصادي عالمي، داخل مجموعة «سيتي بنك» الأميركية إلى إطلاق اسم «الأمير كي» عليه. وسيصبح عزيز رئيس الوزراء الحادي والعشرين، منذ استقلال البلاد، بعدما أوفى بالشرط القانوني الذي يقضي بأن يكون نائباً، إذ انتخب عن دائرة فصلت على مقاسه. وأمضى عزيز ٣٠ سنة في «سيتي بنك»، حيث عين في منصب نائب الرئيس التنفيذي للبنك، قبل أن يستلم حقيبة المال، في حكومة الرئيس مشرف لمدة خمس سنوات ❑

أطباء أميركيون ساعدوا في التعذيب

ذكرت نشرة «ذي لانسيت» الطبية، الأسبوعية، البريطانية، أن أطباء الجيش الأميركي الذين كانوا موجودين في سجن «أبو غريب» عندما عذب سجناء عراقيون، ساعدوا عسكريين أميركيين في التعذيب، أو غطوا عملهم. وأشارت «ذي لانسيت» نقلاً عن وثائق حكومية، تشمل شهادات تحت القسم لسجناء وجنود، إلى الطرق المختلفة التي ساهم فيها الأطباء... فذكرت أنّ «أعضاء الطاقم الطبي كانوا يفحصون السجناء، قبل جلسات الاستجواب وخلالها، وسمحوا للمحققين باستخدام المعلومات الطبية المتعلقة بالسجناء لتنظيم التقنيات المستخدمة في الاستجواب». وتابعت أنهم «قاموا بتزوير السجلات الطبية، ووثائق الوفاة (لإخفاء آثار التعذيب)، ولم يقدموا للجرحى الإسعافات اللازمة». ويبقى الاتهام الأهم الموجه ضد الأطباء أنهم ساهموا «بتنظيم وتنفيذ مناهج الاستجواب» التي تتضمن التعذيب الجسدي والنفسي. والأمثلة على ذلك كثيرة، من بينها حال سجين أغمي عليه، بسبب الضرب، فأنعشه الطبيب لينهي الاستجواب. بينما سمح طبيب آخر، لجندي غير مؤهل طبياً، بمعالجة جروح سجين نجمت عن الضرب. وجرى تزوير وثائق وفاة عدة، استناداً إلى النشرة التي أشارت إلى عضو في الطاقم الطبي يضع مصلاً لجثة، ليوحي بأنها لمريض على قيد الحياة، قبل وصوله إلى المستشفى، وشهد طبيب أن عراقياً مات من أسباب طبيعية، في حين كان جنود وضعوا رأسه داخل كيس للنوم، و جلسوا على صدره. ❑

دولة عربية تريد من إسرائيل ضرب المفاعل الإيراني

نقلت صحيفة «يديعوت أحرونوت» اليهودية في٢٠٠٤/٨/٢٠

عن المدير العام لوزارة الخارجية يواف بيران قوله: إن هناك دولاً غربية وعربية تعتبر إيران تهديداً لمصالحها، مشيراً إلى أن «العالم يجب أن لا ينتظر أن تؤدي إسرائيل عمله القذر» أي تدمير المفاعلات الإيرانية. واعتبر بيران أن التسريبات الصحفية أدت إلى إنهاء محادثات سرية، لإقامة علاقات مع دول عربية لم يشأ تسميتها. لكن الصحيفة لفتت إلى أنها ليبيا، والبحرين، والإمارات، واليمن. ونقلت الصحيفة عنه أن المحادثات مع اليمن كانت «دافئة للغاية، ووقفنا على حافة التقدم» في شأن التوصل إلى حل لإقامة علاقات ثنائية.. ❑

التظاهر ممنوع

هدد رئيس وزراء الأردن (فيصل الفائز) بفصل أي طالب يشارك بتظاهرة داخل أسوار الجامعات، فرد عليه الطلبة رداً يفيد أنهم صدّقوا الدستور، وصدّقوا كذبة ما يسمى «الديمقراطية» قائلين: «إن التعبير عن الرأي حق كفله الدستور» في المادة الخامسة عشرة. وقال بعضهم إن هذا الإجراء يُعَدُّ قمعاً للحياة السياسية الجامعية. وتعليقاً على ذلك التهديد نقول: إن ما يدَّعيه النظام في الأردن من ادعاءات بإلغاء الأحكام العرفية، أو السير في ركاب «الديمقراطية» الغربية المزيفة، هو مجرد أوهام، يضلل بها بسطاء الناس ❑

محاكمة سعودية

لا يريد النظام إجراء محاكمة علنية لسجناء الرأي، فأمر القاضي بتأجيل المحاكمة، تحت ذريعة أن الجمهور لم يكن منضبطاً، وأنه هتف وصفّق، فكان التأجيل إلى أجل غير مسمى، من غير أن تعقد الجلسة. أما التهمة الموجهة لهؤلاء، فإن النظام يلخصها بأنهم أساؤوا إلى الدولة، وشككوا بنهجها، واعترضوا على بعض ما ورد في النظام الأساسي للحكم. ❑

لماذا يكرهوننا؟

يتوالى صدور الكتب التي تتحدث عن العلاقة بين الغرب والشرق، وبين الولايات المتحدة والمسلمين، وصدر من هذه الكتب كتاباً بعنوان: «الكبرياء الإمبريالي: خسارة الحرب ضد الإرهاب» وجاء فيه القول: إن أول سبب للعداء للولايات المتحدة هو تأييدها لإسرائيل بلا تحفظ. وصدر كتاب آخر لكاتب يدعى (فريد كابلان). عنوان الكتاب هو «عذر الحرب ١١/٩ والعراق وانتهاك وكالات الاستخبارات». جاء في هذا الكتاب القول: إن المحافظين الجدد تآمروا لشن الحرب على العراق لحماية أمن إسرائيل. وقال بوب وودوارد وهو صحفي أميركي مشهور في كتابه «خطة الهجوم» إن أركان اليمين الجدد في أميركا بكوا فرحاً بالحرب على العراق. ومن المعروف أن بول وولفرفيتز طالب بشن حرب على العراق في أول اجتماع لأركان الإدراة الأميركية، بعد أحداث ٢٠٠١/٩/١١م ❑

التردد في المواقف من العملاء

قال الشيخ النجفي، وهو الناطق باسم آية الله بشير النجفي، أحد المراجع الأربعة من أهل النجف: «لن نسكت عن الاحتلال، لكننا سنظل ضمن الحدود السلمية، وفي حال استنفادها سيكون هناك أمر آخر، لا نعلم ماذا ستختار المرجعية في وقتها، هل هو الخيار العسكري أو أي خيار آخر» ❑

حكام أم عملاء؟

ظهر التناقض في تصريحات عملاء أميركا في العراق قبل وبعد هجومهم على النجف، فقام أحدهم بمهاجمة إيران وإطلاق الوعيد والتهديد لها، وقام عميل آخر يقول إن إيران دولة صديقة لنا. ثم قام ما يسمى وزير الدفاع بتهديد مقتدى الصدر والإغلاظ له بالقول، وكذلك عمل كل من محافظ النجف، وقائد شرطة النجف، فقام علاوي بإصدار قرار بمنع الشعلان والنقيب من الإدلاء بتصريحات حول النجف. وبعد ذلك القرار بيوم واحد فقط قام الشعلان بتهديد الصدر بالقتل أو السجن. وجاء السيستاني من سفره ففرّج عن مقتدى الصدر وعن علاوي، واختفت التصريحات والتهديدات والتناقضات التي مارسها هؤلاء، مما يؤكد أن كل واحد منهم صرّح حسب الأمر الذي تلقاه من الأميركيين مباشرة، ولا عجب إن تناقضت التصريحات، لأن هذا جزء من المعركة التي يخوضها عدو متخبط، بواسطة أشخاص يتخبطون ❑

«مرشد روحي مسسلم» للجيش البريطاني

ذكرت صحيفة (صنداي تايمز) نقلاً عن وزارة الدفاع البريطانية، أن الجيش قرر تعيين «مرشد روحي مسلم» وذلك للمرة الأولى في تاريخ الجيش. وذكرت الصحيفة أن دور المرشد الذي يتقاضى راتبه من الجيش هو إقناع المسلمين، المنخرطين في القوات البرية وسلاحي الجو والبحرية البريطاني، بمواصلة خدمة بلادهم، على رغم النزاعات الجارية في بعض البلدان الإسلامية، أي بكلمات أكثر دقة، إقناع هؤلاء الجنود بقتل إخوانهم في العراق وأفغانستان، إذا صدرت إليهم أوامر من قياداتهم، لأنهم بذلك يخدمون بلادهم حسب زعم مسؤوليهم! ❑

الإدارة الأميركية فشلت

قال شبلي تلحمي، وهو عضو المجموعة الاستشارية التي شكلها البيت الأبيض لدبلوماسية العلاقات العامة، والباحث في معهد بروكينغز: «إنه أسوأ من الفشل، إن التوجهات العربية والإسلامية تجاه الولايات المتحدة، ودرجة الثقة بها، أسوأ مما كانت عليه قبل ثلاث سنوات. وأسامة بن لادن يفوز بسبب إهمال الطرف الآخر». وذكر كبار المسؤولين في الإدارة الأميركية أن الولايات المتحدة خصصت أموالاً وبرامج سياسية، واقتصادية، وتعليمية، لتحسين الحياة، والضغط من أجل الإصلاحات، وتحسين صورة أميركا كحليف للعالم الإسلامي، في أكثر من خمسين دولة. واعترفت كونداليزا رايس، أمام معهد السلام الأميركي، بأن دبلوماسية العلاقات العامة هي مجال تود الإدارة الأميركية أن تركز عليه «ومن الواضح أننا غير منظمين فيما يتعلق بدبلوماسية العلاقات العامة» وقد رصدت أميركا مائة مليون دولار للسنة المالية ٢٠٠٣، للمساهمة في تشكيل منظمات غير حكومية بين النساء والشباب وما يسمى الإصلاح ❑

خطف السائقين

بعد تزايد عمليات احتجاز السائقين، يحاول البعض تحويل هذا العمل من زاويته السياسية المقاومة، إلى عمليات ابتزاز مالي، وقد لوحظ، من خلال ما تنشره وسائل الإعلام، أن العديد من السائقين ينقلون بضاعة وإمدادات للجيش المحتل في العراق. نشرت في هذا الصدد مجلة الوسط (الحياة الأسبوعية) مقالاً، ورد فيه ما يلي: «البضائع التي تنقل إلى العراق ليست كلها للعراقيين، بل كان كثير منها إلى القوات الأميركية، وخصوصاً المنازل الجاهزة والخشب والمولدات الضخمة، والمياه المعدنية، والمرطبات، وكان كثير من الشاحنات يوصل البضائع إلى معسكرات الأميركيين البالغ عددها ٤٩ معسكراً. وأدت هذه الحركة إلى ازدياد الطلب على النقل، وارتفاع أسعار نقل الطن إلى العراق من ١٦ إلى ٣٦ دولاراً. وكذلك تبلغ كلفة نقل مولد الكهرباء (تحمل الشاحنة اثنين) نحو ١٥٠٠ دولار، ويقال إن السائق اللبناني ينال ٤٠٠ دولار عن كل شحنة علاوة على راتبه الشهري» ❑

الكويت وطرد السفير

بعد قرار السلطات الأميركية بتعيين (ريتشارد ليبارون) سفيراً جديداً لها في الكويت، قام بعض النواب من الكويت بالاحتجاج على ذلك التعيين، وطالبوا برفضه؛ لأنه عمل نائباً للسفير الأميركي في تل أبيب، قبل قرار تعيينه في الكويت. وكانت الكويت رفضت، قبل عشرين عاماً، للسبب نفسه، سفيراً آخر اختارته أميركا لهذا المنصب. وقال الملحق الإعلامي في السفارة الأميركية في الكويت «إن اختيار هذا السفير تمّ؛ لأنه أحد أكثر العاملين في الخارجية الأميركية خبرة في قضايا الشرق الأوسط، وهذا يعكس عزم الرئيس بوش على اختيار أشخاص ذوي معرفة جيدة وخبرة، للعمل في المنطقة، خصوصاً الكويت التي هي حليف مهم للولايات المتحدة» ❑

العفو الدولية وليبيا

قامت منظمة العفو الدولية بزيارة ليبيا في شباط ٢٠٠٤م، وأعدت تقريراً عن وضع المعتقلين السياسيين. ويقول التقرير إن النظام الليبي يستمر في تطبيق عقوبة الإعدام، بالنسبة لعدد كبير من الجرائم، من بينها الممارسة السلمية للأنشطة السياسية، وقد استخدمت شعارات وعبارات جديدة مستوحاة من «الحرب على الإرهاب»

في السنوات الأخيرة لتبرير تكرار الممارسات القديمة على حساب حقوق الإنسان. وأشار التقرير إلى سياسة التصفية الجسدية للمعارضين السياسيين في الثمانينات، وحالات الوفاة العديدة في الحجز دون إعطاء تفسير كاف، واختفاء بعض الرعايا الليبيين في الخارج وبعض الأجانب في الداخل. وما زالت مئات العائلات لا تعرف إن كان أقرباؤها أحياء أو أمواتاً، أو كيف ماتوا؟ ويخشون السؤال عنهم خشية الانتقام منهم. ويدّعي النظام أن الذين ظلموا في السجون لهم صلات بالقاعدة وطالبان، والسلطات تعاملهم كما تعامل أميركا معتقلي غوانتانامو ❑

إسرائيل تدرب الأميركيين!

نشرت صحيفة (جيروزالم بوست) الإسرائيلية تقريراً، مفاده أن جنوداً أميركيين تلقوا تدريبات في (معهد مكافحة الإرهاب) قرب موديعين في ضواحي القدس. أما صحيفة (ذي تايمز) فقد حصلت على تأكيدات من الدكتور (تال توفي) وهو خبير في حرب العصابات، في كلية الأركان العسكرية في (إسرائيل) بأن المارينز، ووحدات جوالة في الجيش الأميركي، قامت بزيارات متكررة إلى (إسرائيل) للمشاركة في مناورات، وقال (تال توفي) بتاريخ ٨/١٩: «لقد أظهر الأميركيون اهتماماً خاصاً بثلاثة مجالات هي: استخدام مروحيات أباتشي لعمليات قتل مستهدفة، وحرب المدن، وكيفية القيام بعمليات عسكرية كبيرة في مناطق مكتظة بالسكان، حيث نملك خبرة كبيرة في هذا المجال». وتعليقاً على ذلك نقول: إن همجية الجيش الأميركي في العراق مستنسخة من همجية الجيش الإسرائيلي في فلسطين المحتلة، حتى إن تعليقات متعددة لوسائل الإعلام أشارت إلى مرافقة خبراء يهود، من جميع أنواع الأسلحة البرية والجوية، للجيش الأميركي الذي يفتك بالمدنيين في العراق ❑

اقتراح بعودة اليهود!

نشرت صحيفة المحرر العربي نبأ، تقول أنها انفردت به، وهو اقتراح الحزب الشيوعي العراقي، ووزير الهجرة والمهجرين العراقي، بإعادة ٢٤٥ يهودياً عراقياً إلى العراق، ممن هاجروا منه في الماضي. هؤلاء اليهود هم أعضاء سابقون في الحزب الشيوعي العراقي، ونشرت الصحيفة لائحة بأسمائهم. وتعليقاً على ذلك نقول: إن هذا الخبر يدل على خطورة الأحزاب الشيوعية العربية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً؛ لأنها رأس جسر للأعداء، من روس، وإنجليز، ويهود... الخ ❑

مساعدات ملغومة الأهداف

أعلنت السلطات الأميركية أنها قدمت مساعدات لإندونيسيا بقيمة ٤٦٨ مليون دولار يخصص جزء منها لتطوير مدارس إسلامية متهمة بأنها تشجع «التطرف والأصولية» وسوف يخصص ١٥٧ مليون دولار «لتحسين نوعية التعليم» على مدى خمس سنوات مقبلة. وهذا يدل عل اتباع أميركا أسلوب الترغيب والترهيب في تغيير عقول الأجيال المسلمة في إطار كيدها للإسلام وأهله ❑

ثلاثة وتسعون عاماً من القصف

كتب الأسترالي (غافن غاتينبي) في صحيفة الحياة في ٨/٣١ مقالاً، استعرض فيه حالات القصف الجوي للمدنيين، التي طاولت بلداناً من العالم الإسلامي، بدأها بعملية قصف الطيران الأميركي لحفلة عرس، في قرية القائم الحدودية العراقية، ومقتل ٤٥ شخصاً حينها، والقصف اليومي للنجف، وسامراء، والفلوجة. وأشار الكاتب إلى قيام سلاح الجو الإيطالي عام ١٩١١م بقصف طاغورة، وعين زارا، بالقنابل في ليبيا، وقيام الفرنسيين بقصف مدن وأسواق المغرب في عام ١٩١٢م، وفي عام ١٩١٣م قام الإسبان بقصف المغاربة بقنابل انشطارية، والغاز السام. وقام الانجليز بقصف قرى في مناطق غرب الهند (باكستان حالياً)، وذلك عام ١٩١٥م، وفي عام ١٩١٩م، هاجموا مدناً في أفغانستان، وأسقطوا ستة أطنان من القنابل على جلال أباد، وقدمت حكومة بريطانيا قنابل غاز سام إلى حاكم الهند، لكنه رفض العرض، وقامت بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى بقصف الصومال والعراق، وفي عام ١٩٢٢م، استعمل الإنجليز في العراق القنابل الفسفورية، والقنابل العنقودية. وفي عام ١٩٢٥م، قصفت فرنسا قرى سورية، وأجزاء من دمشق... والمقال طويل، وهذه مجرد مقتطفات منه ❑

مستقبل البشريّة

إنَّ «الزمن» كلمة تدَّخر في حروفها أبعاداً كثيرة، ولطالما خاض الفلاسفة في هذا العالم المجهول، فزادوه جهالة، وصرفوا الأذهان عن التدبّر الدسّي في كُنهِ الزمان، إلى سفسطة خيالية، وخاضوا في الماورائيات، دون امتلاك السلاح الذي يخوّلهم خوض هذه المعركة. وكما أقلق الزمان الفلاسفة، استبدّ بأقلام الأدباء، فسخّرهم للكتابة عنه، وهم الذين في كل وادٍ يهيمون، وإذا قصدوا البحر انقلبوا وهم عطِشون.

والحَقُّ أن الزمان يكتنز في أغواره الكثير الكثير من ثمار المعرفة، وأعني هنا الماضي قريبه وبعيده، فالذي يرغب في أن يقفز إلى الأمام قفزةً هائلةً، لا يملك إلا أن يعود القهقرى خطوات واثقة تكون مرتكزاً لقفزته. وهكذا لا تنبع دراسة الماضي - أياً تكن هذه الدراسة - إلا من رغبة جادة في اختراق حُجُب المستقبل، أو استشراف ما فيه، أو الإعداد له.

ولعلَّ الدراسة التي أشرنا إليها، قد أسالت لعاب فريقين من المفكرين السياسيين، هما على طرفي نقيض. أعني بذلك الاشتراكيّين والرأسماليّين، على تفاوتٍ بين الفريقين في حَجْمِ الاهتمام المبذول لهذه الدراسة.

فالاشتراكيّون يرون الاشتراكية غاية التاريخ. يعتبر أبرز منظّريهم كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) صاحب كتاب «رأس المال» أن صراع الطبقات يُفضي إلى سلسلة تقلّبات، سمّاها التطوّر التاريخي، بحيث يكون قيام الاشتراكية آخر دور لهذا التطوّر. ويشرح ذلك بزعمه أن كفاح الطبقات من أجل تحسين أوضاعها المادية، ينتهي دائماً على صورة واحدة هي انتصار طبقة أوفر عدداً وأسوأ حالاً، على طبقة غنية وأقل عدداً، (وهذا قد استقرأه من العصور الماضية)، ويرى أن الطبقة المظلومة الكثيرة العدد تنقلب بعد انتصارها، إلى طبقة ظالمة محافظة، وإذا استرسلنا في تطبيق هذه المقولة، فَسَنَصِلُ إلى طبقة هي الأوفر عدداً، وهي التي تشهد ظلماً لا ظُلْمَ بعده، ويعني ماركس بذلك طبقة العمال التي يرى أن عددها سيزيد تباعاً كلما حلّت أزمة مالية، فالمجتمع الرأسمالي الذي يبيح المنافسة الحرّة، سيسحق الكثيرين من أصحاب رؤوس الأموال تحت أرجل منافسين أوفر مالاً، ويَحالُ المسحوقون إلى طبقة العمال. وبنى ماركس على هذه المقدّمات وغيرها أن طريق إقامة الدولة الاشتراكية، واحدة لا تتغيّر، وهي التطوّر التاريخي أو الاجتماعي.

ولسنا في حاجة إلى كثير جهد لدحض هذه النظرية. لقد استند كارل ماركس إلى التاريخ، فأكْذَبه التاريخ: إن روسيا السوفياتية حين انتقلت إلى الاشتراكية لم تفعل نتيجة لتطور مادي اجتماعي، ولا إلى كفاح طبقات، وإنما كان الانتقال إثْرَ ثورة دموية استولت على مقاليد السلطة، فأخذت تطبّق أفكارها على الشعب، وغيّرت النظام برمّته، مستخدمة القوة العسكرية. وكان هذا شأن الصين الشعبية. أما ألمانيا الشرقية، وسائر دول أوروبا الشرقية، فإن الدولة الاشتراكية فيها فُرضت، بعد استيلاء دولة اشتراكية على هذه البلدان. يضاف إلى ذلك أن آخر القرن الماضي شهد انهيار الدولة الاشتراكية، وبهذا لم تكن الاشتراكية نهاية

التاريخ، بل أثبت التاريخ نهاية الاشتراكية.

أما الرأسماليون فإنهم لم يرتكزوا إلى الزمن أو التاريخ، في إثبات طريقة عيشهم، وما يعدّونه قيماً، لكن اجتهاداتٍ لا تخرج عن الدائرة الفردية، صدرت من بعض مفكّريهم، أخذت على عاتقها إثبات أن الرأسمالية هي نهاية التاريخ، ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن كتاب «فوكاياما» الذي يحمل هذا الاسم «نهاية التاريخ». وإنه - وإن كانت الفكرة ليست من صلب الفكر الرأسمالي - إلا أنه يُروَّج لها. ولذلك من اللازم علينا أن نذود عن الأمة فكرة خطيرة مماثلة، إذ من شأنها - لو نجحت في الاستشراء في صفوفنا - أن تخدّر الهمم، وتُكبّل الإرادات، وتعيق العاملين على التفلّت من القبضة الغربية، لأنهم لو آمنوا أن الرأسمالية لا شيء ينتزعها من الأرض، استسلموا وتوهّموا أن كلّ جهد للتغيير محكوم عليه بالفشل.

أليس من المفيد أن نبطل فكرة «فوكاياما»، بما أصبحنا نجده هنا وهناك، بين الحين والآخر، من تصريحات غربية؟

فلقد كثرت شهادات بعض مفكّري الغرب التي تنعى الرأسمالية، أو تنذر بسقوطها، الأمر الذي يعني أنها لن تكون آخر ما تثمره البشرية من أنظمة، ولا آخر محطة تطمئن عندها ولا تتزحزح.

يقول مراد هوفمان [في كتاب الإسلام عام ٢٠٠٠ - ترجمة عادل المعلم - نشر دار الشروق - القاهرة - ١٩٩٥ - ص١٨]: «منظرو وعلماء الغرب يشكّكون، إذا كانت افتراضاتهم الأساسية صحيحة».

ويقول الصحفي الأميركي المشهور John Gunther في كتابه «في داخل أوروبا» (Inside Europe): «إن الإنكليز إنما يعبدون بنك إنكلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع إلى الكنيسة». [ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي - الدار الشامية - بيروت - ط ١٩٩٩].

ويقول الأستاذ «جود» الإنجليزي: إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القدرة الجديرة بالآلهة. ولكننا نستعملها بعقل الأطفال والوحوش. [Guide to Modern Wickedness, p. 261].

ويقول الدكتور Alexis Carrel في كتابه «الإنسان ذلك المجهول» (Man the Unknown): «الحضارة العصريّة لم تحقّق الآمال الكبيرة التي عقدتها بها الإنسانية...». ويقول: «إن الوسط الذي أنشأته العلوم الطبيعية وعلم الصناعات للإنسان، لا يناسب الإنسان؛ لأنه لم يقم على تصميم وتفكير سابق، ولم يُراعَ فيه الانسجام مع شخصية الإنسان...، نحن غير مسرورين، نحن في انحطاط في الأخلاق، وفي العقول. إن الأمم التي ازدهرت فيها الحضارة الصناعية... هي أضعف مما كانت، وهي تسير سيراً حثيثاً إلى الهمجية، ولكنها لا تدرك ذلك..» [ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي - ص٢٤٣].

بعد ما سلف ذكره لا بدّ أن يرتسم في ذهن كل قارئ، سؤال طبيعي: هل في الإمكان صياغة تصوُّر آخر بديل، لما سيكون عليه مستقبل البشرية السياسي والحضاري؟

في التمهيد للإجابة، لا مناصة من إطلاق سلسلة ثوابت:

١- إن استشراف المستقبل يعطي قوة دفع خطيرة الأثر، لأمة ترغب حقاً في النهوض، وتسنُّم ذروة المجد في رقعة الكون، وقيادة سائر الأمم، وإن الأمة الإسلامية ينطبق عليها هذا الوصف. قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران - ١١٠]. وقال:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢- إن هذا المستقبل لا بد أن يكون واضح المعالم، تقوم على إيضاحه أدلة قطعية، وشواهد يقينية، حتى لا ينهار أمام هزّة ما، وتنهار معه آمال الجماهير المتعطّشة، وحتّى لا نقع أَسْرَى الوهم، أو التدليس في قراءة التاريخ، فيحلّ بنا ما حلّ بأصحاب المبدأ الاشتراكي، وما ستثبت الأعوام القادمة أنه سيحلّ بأصحاب المبدأ الرأسمالي.

٣- إن هذا المستقبل لا يكفي أن يستند إلى التاريخ، فالتاريخ قد اعتوره الكثير من التشويه. أضف إلى ذلك أن التاريخ ليس ذا مكوّنات ثابتة. وليس قابلاً لاحتواء أحداث تسير في وجهة واحدة. إن أحداثه متضاربة أشدّ التضارب - وهذا معلوم بالضرورة - ولا يمكن الخلوص منها بنتائج متجانسة مهما ضَيَّقْنَا في مساحتَيْ الزمان والمكان، فكيف إذا استرشدنا بالتاريخ كله على امتداده؟ لن نجنيَ حينئذٍ من كل هذ الأودية إلا عِصِيّاً متفاوتة، ولن نجني من هذه العصيّ إلا الوجع!! قلنا إن هذا المستقبل لا يكفي أن يستند إلى التاريخ، لأن المستند الأساسي هو الفكر الصحيح العميق المستنير، الفكر الشمولي الذي نجده في الإسلام.

لقد بات واضحاً في رؤى مفكّري الغرب، الذين نظروا بعيون ثاقبة، أن مستقبل البشرية سيكون في عهدة حضارة الإسلام. ذلك لأنهم أدركوا أن «الإسلام ليس مجرد دين، بل هو أساس لحضارة كبرى» (والعبارة الأخيرة خطّها «نيكسون» الرئيس الأميركي الأسبق في «الفرصة السانحة»)، وأدركوا ما أدركه د. مراد هوفمان حين قال: «الفرص متاحة أمام الإسلام ليصبح ديانة العالم الأولى في القرن ٢١». [المبشرات بانتصار الإسلام - د. يوسف القرضاوي - دار القلم (دمشق)/ الدار الشامية (بيروت) - ط١ - ١٩٩٧ - ص٩٢].

قال جيم ميران، عضو لجنة الشؤون الخارجية بالكونغرس الأميركي، [في حديث لمدير تحرير مجلة المجتمع الكويتية - العدد ١١٩ - ١٩٩٦/٣/٥]: «أنا أعتقد أن القرن القادم هو قرن الإسلام، وقرن الثقافة الإسلامية، وستكون هذه فرصة لإحلال مزيد من السلام والرفاهية في كل بقاع العالم».

وقال روبرت بين في كتابه «السيف المقدّس»: «علينا أن ندرس العرب ونسبر أفكارهم؛ لأنهم حكموا العالم سابقاً، وربما عادوا إلى حكمه مرة أخرى، والشعلة التي أضاءها محمد لا تزال مشتعلة بقوّة، وهناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الشعلة لا تُطفأ». [المبشرات بانتصار الإسلام - د. قرضاوي - ص٧٩]. وباتجاه هذا التصور صنّف الرحّالة الألماني بول أشميد كتابه «الإسلام قوة الغد»، عام ١٩٣٦.

نعم.. لقد أفلست محاولات الشرق الاشتراكي، والغرب الرأسمالي، في تحديد وجهة المستقبل للبشرية، وصار أبناء البلاد الخاضعة لهذين المبدأين، يدركون الضنك الذي عناه القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

ولذلك آن للأمة الإسلامية أن تُرَدّد:

إضربْ حديداً حامياً ... لا خيرَ فيه إن بَرَدْ

آن لها أن تطرح - وبقوّة - مشروعها الحضاري، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لأنه من لدن حكيم خبير، مشروعها الذي يحمل تفاصيل الحياة السياسية، والحياة الاقتصادية، والحياة القضائية، والحياة الاجتماعية، يحمل تفاصيل العلاقات الدولية، جنباً

إلى جنب مع تفاصيل العبادات.. نعم آن للأمة أن تطرح مشروعها الذي أثبت جدواه، على امتداد أكثر من قرون عشرة، فأثمر فتوحات عادلة، ونماذجَ حكم راقية، ومدنيةً آتت أُكُلَها، وعلوماً ضاقت بها الكتب المصنَّفة رغم وفرتها، حتى لهجت ألسن المُنْصِفين من المستشرقين، بالثناء على هذه الحضارة وما كان لها من يدٍ، بل أيادٍ بيضاء، على تاريخ الفكر البشري.

آن للأمة أن تعود إلى رشدها، وتخلع الثوب المستعار الذي حَسِبَتْه مرةً يجلب الدفء فإذا بأوصالها تتجمّد، وإذا بالدم في شرايينها لا يتدفّق وإذا تدفّق فَدَماً ملوّثاً لا يزرع إلا الموت. وحسبته مرةً ثوباً يجلب انتعاش الربيع، فإذا به يكوي جِلدَها حيث التصق بجسدها!

آن للأمة أن تنبذ ما لا يمتّ إليها بصلةٍ، وتَلْتَفِتَ إلى فِطْرَتِها التي فطرها الله عليها، وتعي ما في عقيدتها وشريعتها من حل صادق لأوجاعها وأوجاع البشرية جمعاء.

إن الوقت مؤاتٍ؛ لأن البشرية تتعطّش لهذا الحلّ، وتتساءل في أعماق ذاتها عن البديل الصالح الذي يُخرجُها، من ظلمات المادية الجشعة إلى رحاب النور، نور من الروحانية والعقلانيّة، نور يخرج من مشكاة، زيتُها مزيج من المادة والروح، نور الإسلام.

والذي يُثلج الصدور أن القرآن صرّح بدلالة قطعية، في غير موضع، أن المستقبل لن يكون لغير الإسلام الصحيح صاحب الفهم الشمولي، وجَعَل ذلك بمثابة وعد.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥]، وفي تفسيرها يقول ابن كثير: هذا وعدٌ من الله تعالى لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي أئمّة الناس، والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد، وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً وحكماً فيهم..» وليس الأمر مقتصراً على الحقبة التاريخية السابقة؛ لأن لفظ الآية عام في كل فئة تلتزم بمنهج الإيمان والعمل الصالح، ونبذ مظاهر الشّرك.

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢ - ٣٣]، وإن هذه النبوءة لم يأتِ أوانها بعد، رغم فتوحات الإسلام السابقة، بدليل ما رواه مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «إنه سيكون من ذلك (الإظهار) ما شاء الله عزّ وجلّ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة.. (كناية عن يوم القيامة)..».

أما الأحاديث النبوية الصحيحة، ففيها غنى ووفرة في هذا المجال. ومن ذلك:

١- «ليبلُغَنّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يترك الله بيت مَدَرٍ ولا وبرٍ، إلا أَدْخَلَهُ الله هذا الدين، بعزّ عزيزٍ، أو بذلّ ذليلٍ، عزّاً يُعزُّ الله به الإسلام، وذلّاً يُذلّ الله به الكفر». [رواه أحمد في مسنده، وأورده الهيثمي في المجمع، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح].

(التتمة ص٣٤)

تحريف الإسلام

بحجة تغيُّر الأحكام بتغيُّر الزمان أو المكان (٣)

محمود عبد الكريم حسن

تحدثنا في الحلقتين السابقتين، عن محاولة إحياء بدعة تغير الأحكام بتغير الزمان أو المكان، وذكرنا بعض المغالطات التي تعتمد لأجل دس الأفكار الغربية، ومن ذلك الافتراءُ على ابن القيِّم، رحمه الله، والتلبيس في عرض بعض ما فعله أمير المؤنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن ذلك أيضاً المغالطات التي تُعتمَدُ من خلال التذرع ببعض الأئمة، كشهاب الدين القرافي، وابن عابدين، رحمهما الله تعالى، أو من خلال الاستناد إلى بعض القواعد التي ذكرتها مجلة الأحكام العدلية. ونتابع، في هذه الحلقة، بيان الأخطاء، في زعم الاستناد إلى الإمام أبي إسحق الشاطبي وأفكاره، في هذا الشأن.

ولقد ذهب بعض المعاصرين الذين يكتبون في الفقه وأصوله، أو يُفتون ويميلون بفتاواهم إلى التوفيق بين أحكام الإسلام وقوانين الغرب الديمقراطية والرأسمالية، ويسعَوْن إلى تبرير بعض المنكرات، وبخاصةٍ فيما يتعلق بالحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى، وبدساتيرهم، وقوانينهم، وسياساتهم... ذهبوا إلى القول بشرعية كثير من المنكرات القائمة.

ولما كانت النصوص الشرعية، واجتهادات العلماء المعتبرين، تقف عائقاً أمام هذه التحريفات، ذهب المحرِّفون إلى القول بجواز تغيُّر الأحكام بتغيُّر الزمان أو المكان، ليبرروا بذلك مخالفتهم للأحكام الفقهية المعهودة المتفق عليها. وفي هذا محاولة لتسويغ عدولهم عن الحق الواضح، المتفق عليه، المنقول عن الأئمة. ومن ذلك مثلاً أحكام الربا، والردة، وحرية الرأي، وحقوق الإنسان عموماً.

أما مناقضتهم للنصوص الشرعية، فقد حاولوا التمسك في ذلك بمقاصد الشريعة. ومضمون تبريراتهم أن الشريعة إنما أنزلت لأجل مصالح العباد، ومصالح العباد هي مقاصد الشريعة، والفقيه هو الذي يدرك هذه المقاصد ويبني فتواه عليها.

وحقيقة ما فعلوا في ذلك هو أنهم جعلوا الشريعة تتناقض مع مقاصدها. وإمعاناً في الزيغ تمسكوا بالشاطبي، وبما جاء به في كتابه (الموافقات)، فيما يتعلق بمقاصد الشريعة، وأوهموا أن الشاطبي، رحمه الله، يقول بتغير الأحكام الشرعية بناءً على المصالح والمقاصد، فكانت افتراءاتهم في ذلك مركَّبةً: على الشرع

وأحكامه من جهة، وعلى الشاطبي وأفكاره من جهةٍ أخرى. وهم فوق افتراءاتهم الواضحة تلك، زعموا أن الذين يواجهونهم بالنصوص جامدون، ومتحجرون، ولا يفقهون الواقع، ولا يفهمون ما يقولون؛ لذلك كان لا بد من بيان الحق في هذا الشأن، موثقاً بأدلته.

وأوَّل ما أشير إليه هنا هو أن مقاصد الشريعة هي مقاصد الشريعة التي أنزلها الله تعالى، فهي مقاصدُ للشارع الذي شرعها، وليست مقاصد الناس ولو كانوا علماء، أو عقلاء، أو حكماء. هذا هو المعنى البدهي لمقاصد الشريعة، ولا يخالف في هذا أي من العلماء المعتبرين، وعلى وجه الخصوص الشاطبي، شيخ المقاصد، كما يحلو لبعض متزعمي تغيير الأحكام أن يسمُّوه.

ومقاصد الشريعة لا تنقض الشريعة، ولا تبطل أحكامها، كيف وهي مقاصد لها، أو مقصودة بها! ومقاصد الشريعة فرع للشريعة، فلا تُعرف أو تفهم إلا من طريقها، أي من نصوصها. فالشريعة هي الأصل، والمقاصد فرع لها. وبالاتفاق فإنه لا يصح أن يرجع الفرع على الأصل بالإبطال. فإذا قال النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري، فإنه يكون من الضلال قول القائل: إن الردة حق شرعي. وأن يصبح معنى حفظ الدين هو حرية العقيدة، وأن تصبح معاقبة المرتد جريمةً، ومنافيةً لحقوق الإنسان. وكذلك فإنه من قبيل التحلل من قيود الدين، أن يكون نص القرآن: ﴿ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة ٢٧٥] وأن يكون مقصد الشريعة: الربا حلال، أو فوائد البنوك حلال!

أما زعم التمسك بالشاطبي في هذا الأمر، أو الاستناد إليه، فهذا مما تجاوزوا به الحد. ولننظر:

من خواص الشريعة ثبوت أحكامها:

يقول الشاطبي في بيانه لخواص الشريعة إنها: «مطَّرِدَةٌ عامة، ثابتةٌ غير زائلة ولا متبدلة، ولا محكوم عليها»[١]. هذه خواص الشريعة الثلاث التي يذكرها الشاطبي. والذين يقولون بتغيُّر الأحكام نقضوا خواص الشريعة جميعاً، نقضوا اطّرادها وعمومها، في جميع المكلفين، في جميع أعمالهم وسكناتهم، في جميع الأحوال والأماكن والأزمان. ونقضوا خاصيتها بأنها حاكمة غير محكوم عليها، إذ أخضعوا أحكامها للأعراف والعادات المتغيرة والمتبدلة، في الأزمنة والأمكنة المختلفة. فجعلوها محكومةً بذلك، وإنما هي حاكمة على ذلك كله. أما خاصيتها الثانية، وهي أنها ثابتة غير زائلة ولا متبدلة، وهي الأهم في مقصودنا هنا، فسأكتفي بنصوص قليلة له، تفي في بيان موقف الشاطبي من تغير الأحكام، حيث يقول في شرح هذه الخاصية: «فلا تجد فيها بعد كمالها نسخاً، ولا تخصيصاً لعمومها، ولا تقييداً لإطلاقها، ولا رفعاً لحكمٍ من أحكامها، لا بحسب عموم المكلفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال، بل ما أُثبتَ سبباً فهو سبب أبداً لا يرتفع، وما كان شرطاً فهو أبداً شرط، وما كان واجباً فهو واجبٌ أبداً، أو مندوباً فمندوب، وهكذا جميع الأحكام فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فُرِضَ بقاء التكليف إلى غير نهاية لكانت أحكامها كذلك»[٢].

فهذا النص حاسم في بيان أن المتكئين على الشاطبي، في زعم تغيُّر الأحكام، قد تجاوزوا كل حد في تلبيسهم.

ويقول في معرض بيانه إن المعتمد في الشريعة هو ما كان مستنداً إلى نصوص أو معانٍ شرعية ثابتة، مستندة إلى أصول قطعية: «من العلم ما هو من صلب العلم، ومنه ما هو من ملح العلم لا من صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا من ملحه، فهذه ثلاثة أقسام. القسم الأول هو المعتمد، والذي عليه مدار الطلب، وإليه تنتهي مقاصد الراسخين، وذلك ما كان قطعياً أو راجعاً إلى أصل قطعي»[٣]. وقال: «والقسم الثاني، وهو المعدود في ملح العلم لا في صلبه، ما لم يكن قطعياً، ولا راجعاً إلى أصل قطعي، بل إلى ظني، أو كان راجعاً إلى أصل قطعي، إلا أنه تخلَّف عنه خاصةٌ من تلك الخواص، أو أكثر من خاصة واحدة، فهو مُخيل، ومما يستفز العقل ببادئ الرأي والنظر الأول، من غير أن يكون فيه إخلال بأصله، ولا بمعنىً غيره»[٤]. وهذا القسم مطروح عند الشاطبي؛ لأنه من تخيلات الناظر، أي مما يسرح به العقل أو الخيال؛ لأنه، إما أنه لا يستند إلى دليل شرعي، أو أنه يعارضه ما هو أقوى منه، وهذا معنى قوله إنه تخلف عنه خاصة من تلك الخواص.

أما الذين يغيِّرون الأحكام أو يبدلونها ويبطلونها، فهؤلاء ترجع أقوالهم وفتاواهم إلى أغراضهم وأهوائهم، وتقع في القسم الثالث الذي قال فيه: «ما ليس من الصلب، ولا من الملح، وهو ما لم يرجع إلى أصل قطعي، ولا ظني، وإنما شأنه أن يكرَّ على أصله، أو على غيره، بالإبطال مما صحَّ كونه من العلوم المعتبرة، والقواعد المرجوع إليها في الأعمال والاعتقادات، أو ما كان منهضاً إلى إبطال الحق، وإحقاق الباطل، فهذا ليس بعلم؛ لأنه يرجع على أصله بالإبطال، فهو غير ثابت، ولا حاكم، ولا مُطّرد أيضاً، ولا هو من ملحه؛ لأن الملح هي التي تستحسنها العقول، وتستملحها النفوس»[٥]. وقال أيضاً عن هذا القسم الذي يتضمن معناه تغيير الأحكام بتغيير الزمان أو المكان أو غيرهما: «فربما عدَّه الأغبياء مبنياً على أصل، فمالوا إليه من ذلك الوجه، وحقيقة أصله وهم وتخييل لا حقيقة له، مع ما ينضاف إلى ذلك من الأغراض والأهواء»[٦].

مدى اعتبار العرف عند الشاطبي:

قبل أن يبيِّن الشاطبي رأيه في ذلك، فإنه يستقصي بما لا مزيد عليه، واقع الأعراف والعادات وما يجري بين الخلق. بشكل يتجاوز معنى العادات المذكور سابقاً. أي أنه يقوم بعمل رائع في تحقيقه للمناط، فيبين أن الشريعة إنما جاءت لتتحكم على الأفعال، وعلى الأعراف، والعادات، فما حكمت فيه الشريعة فلا تغيير له ولا تبدل. وما حكمت الشريعة بإباحته، فإذا عرض له عارض، بأن صار له دلالة على حرام، فإن الحرمة تدخل من باب هذا المعنى الحرام، الثابتة حرمته، وليس من باب تغير الحكم. وهذا قد تبين فيما سبق. ويؤكده الشاطبي هنا حيث يقول: «العوائد المستعمرَّة ضربان: أحدهما: العوائد الشرعية التي أقرها الدليل أو نفاها، ومعنى ذلك

أن يكون الشرع أمر بها إيجاباً أو ندباً، أو نهى عنها كراهةً أو تحريماً، أو أذن فيها فعلاً أو تركاً. والضرب الثاني: هي العوائد الجارية بين الخلق، بما ليس في نفيه ولا إثباته دليل شرعي. فأما الأوَّل فثابت أبداً كسائر الأحكام الشرعية... إما حسنة عند الشارع أو قبيحة، فإنها من جملة الأمور الداخلة تحت أحكام الشرع، فلا تبديل لها وإن اختلفت آراء المكلفين بها، فلا يصح أن ينقلب الحسن فيها قبيحاً، ولا القبيح حسناً، حتى يقال مثلاً... إن كشف العورة الآن ليس بعيب، ولا قبيح، فليجزه، أو غير ذلك، إذ لو صح مثل هذا لكان نسخاً للأحكام المستقرة المستمرة، والنسخ بعد موت النبي ﷺ باطل». ويتابع الشاطبي: «وأما الثاني فقد تكون العوائد ثابتةً وقد تتبدَّل، ومع ذلك فهي أسباب لأحكام تترتب عليها، فالثابتة كوجود شهوة الطعام والشراب والوقاع... وإذا كانت أحكاماً لمسبَّبات حكم بها الشارع، فلا إشكال في اعتبارها، والبناء عليها، والحكم على وفقها دائماً. والمتبدِّلة، منها ما يكون متبدلاً في العادة من حسنٍ إلى قبح وبالعكس، مثل كشف الرأس، فإنه يختلف بحسب البقاع في الواقع، فهو لذوي المروءات قبيح في البلاد المشرقية، غير قبيح في البلاد المغربية. فالحكم الشرعي يختلف باختلاف ذلك، فيكون عند أهل المشرق قادحاً في العدالة، وعند أهل المغرب غير قادح. ومنها ما يختلف في التعبير عن المقاصد، فتنصرف العبارة عن معنىً إلى عبارة أخرى... كاختلاف العبارات بحسب أرباب الصنائع... أو بالنسبة إلى غلبة الاستعمال في بعض المعاني، حتى صار ذلك اللفظ إنما يسبق منه إلى الفهم معنىً ما، وقد كان يُفهم منه قبل ذلك شيءٌ آخر، أو كان مشتركاً فاختص... وهذا يجري كثيراً في الأَيْمان والعقود والطلاق، كناية وتصريحاً... ومنها ما يختلف بحسب أمورٍ خارجة عن المكلف كالبلوغ، فإنه يُعتبر فيه عوائد الناس من الاحتلام، أو الحيض، أو بلوغ سن من يحتلم أو من تحيض»[٧]. وما ذكره الشاطبي، في هذا النص حول كشف الرأس، هو ما أُشيرَ إليه في الحلقة السابقة، وهو مما هو مباح أصلاً، ثم يصير له دلالة على معنىً معين، فالحكم فيه ليس تغييراً للمباح، وإنما هو بحسب حِلٍّ أو حرمةِ ذلك المعنى. وذلك كمن ليس طبيباً ويلبس ثياب الطبيب ليغش الناس، فالحرمة في هذا الفعل هي للغش، وهو حكم ثابت. وكالمرأة التي تلبس من الأحذية، أو من أغطية الرأس، ما صار في العرف خاصاً بالرجال، وهو في الأصل مباح لها، فالحرمة هي في التشبه بالرجال، وليس هناك تغير في الأحكام. وكذلك كشف الرأس للرجل فهو مباح أصلاً، وحرمته الطارئة هي بسبب دلالته في أحوال معينة على معنىً حرَّمه الشرع. والمعنى الذي ذكره الشاطبي هنا هو خرم المروءة أي هو مناقضة الحياء. وهذا حرام وحرمته ثابتة. قال ﷺ: «والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، ومسلم في كتاب الإيمان.

ويؤكد الشاطبي على ثبات الأحكام جميعها بلا استثناء، فيقول بشأن ما ذكره في النص السابق عن الأحكام المتبدلة: «واعلم أن ما جرى ذكرُه هنا، من اختلاف الأحكام المتبدلة عند اختلاف

العوائد، فليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب؛ لأن الشرع موضوع على أنه أبديٌّ، لو فُرِضَ بقاء الدنيا من غير نهاية، والتكليف كذلك، لم يُحْتَجْ في الشرع إلى مزيد، وإنما معنى الاختلاف أن العوائد إذا اختلفت رجعت كل عادةٍ إلى أصل شرعي يُحْكَمُ بها عليها، كما في البلوغ مثلاً، فإن الخطاب التكليفي مرتفع عن الصبيِّ ما كان قبل البلوغ، فإذا بلغ وقع عليه التكليف... وهكذا سائر الأمثلة، فالأحكام ثابتة تتبع أسبابها حيث كانت بإطلاق، والله أعلم»^.

هذا هو موقفُ الشاطبي الواضحُ في هذه المسألة، وهو أنه يُنْكِر تغير الأحكام، سواء بتغير الزمان أو المكان أو غيرهما، وأن مقاصد الشريعة ليست ذريعةً لإبطال الشريعة. وإبطال الشريعة إبطال لمقاصدها، كما أنه في إبطال أي أصل إبطال لفروعه.

الخلاصة: الأحكام الشرعية كلها ثوابت لا تتغير:

إن الحكم الشرعي هو خطاب الشارع. وخطاب الشارع هو الوحي المنزَّل على سيدنا محمد ﷺ، فالحكم يستفاد من نصوص الشريعة، وهذه قد نزلت واكتملت، والنسخ بعد موت النبي ﷺ باطل بلا خلاف. كما أن التخصيص أو التقييد لا يصح إلا بدليل شرعي، أي بخطاب من الشارع. وخطاب الشارع سواءٌ أكان عين النص أم ما أفاده النص، لا مزيد عليه بعد وفاة النبي ﷺ. وعلى ذلك فإن القول بتغيير حكمِ أيِّ فعلٍ بعد وفاة النبي ﷺ أمر باطل قطعاً.

وأما القول إن الظروف، أو الأحوال، أو ما شاكل ذلك، قد تتغيَّر. وبالتالي فإن الأحكام يصح أو يجب أن تتغير، فهذا إما جهل وإما تلبيس. فإن الحكم الشرعي هو خطاب الشارع المتعلقُ بالفعل، وهذه الأحوال أو الظروف إن كانت مؤثرةً في الفعل، أو لها علاقة به، أو مما دل الشرع على أنها مناط للحكم، أو مما يتغير بها مناط الحكم، فإن الحكم الذي يتعلق بها هو حكم آخر، أي أن حكمها أصلاً هو حكم آخر، وهذا ليس تغيراً، فإن هذا الحكم الآخر حكم ثابت لا يتغير بزمان أو مكان. فعلى سبيل المثال: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، حرام، في كل زمان ومكان، بلا خلاف. فإذا صار في الواقع حالة اضطرار يباح معها تناول شيء من هذه المحرمات، فهذا عارضٌ يصبح معه تناول هذا المحرَّم في الأصل مباحاً في هذه الحالة بدليل شرعي. وهذا ليس تغيراً. بل الحكمان ثابتان، مستمران، إلى أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها. فحرمة الميتة، والدم، ولحم الخنزير، في الأحوال العادية حرمة ثابتة لا تتغيَّر ولا تتبدل. وإباحة هذه الأشياء، في حالة الاضطرار، إباحة ثابتة لا تتغيَّر ولا تتبدل، وهكذا سائر الأحكام.

ومما ينبني على بدعة تغيُّر الأحكام هذه بدعة أخرى، وهي قول المحرفين بأن أحكام الشريعة ثوابت ومتغيرات. وهذا القول منقوض بما نُقِض به القول بتغير الأحكام.

وأما ما قد يلتبس على البعض بسبب اختلاف المجتهدين، في الأحكام التي يتوصلون إليها في الأحكام الاجتهادية الظنية، فهذا لا يقال عنه إنه متغيرات؛ لأن الحكم في حق المجتهد، وفي حق من يقلده، هو حكم واحد ثابت لا يتغير ولا يتبدل، إلا

إذا وَجَد المجتهد أن الحكم الذي توصل إليه مرجوح، وغيره أرجح منه، فهذا رجوع عن الخطأ، وليس تغييراً أو تطويراً للأحكام، وكذلك يقال في حق المقلد إذا غلب على ظنه أن مجتهداً آخر أرجح من المجتهد الذي يقلده في المسألة التي قلده فيها، وهذا بحسب وسائل المقلدين في الترجيح بين المجتهدين. فالأحكام الشرعية يُنْظَر إليها بحسب مجتهد واحد من حيث الثبات. وهؤلاء الذين يحاولون ربط الأحكام بالمصالح؛ ليقولوا بتغيير الأحكام، وبأن من خواصها التغير، وبأنه يجوز التخيُّر فيها بين أقوال المجتهدين، يَرُدُّ عليهم الشاطبي فيقول: «المصالح أو المفاسد في مسائل الخلاف ثابتة، بحسب ما في نفس الأمر عند المجتهد وفي ظنه، ولا فرق هنا بين المخطِّئة والمصوِّبة»[٩] ويسمِّي الشاطبي التغيُّر في الأحكام تناقضاً، ويقول: «وإنما يكون التناقض واقعاً إذا عُدَّ الراجح مرجوحاً من ناظرٍ واحد، بل هو من ناظرين، ظن كل واحد منهما العلة التي بني عليها الحكم موجودةً في المحل، بحسب ما في نفس الأمر عنده وفي ظنه»[١٠].

ويتبرَّمُ الشاطبي بالذين يقولون بتغير الأحكام، ويربطونها بالمصالح، ويفتون بالتخيُّر فيها بين المجتهدين، ويرى أن أقوالهم هذه وفتاواهم هي مما تجاوزوا فيه الحد، فيقول: «وقد زاد هذا الأمر عن حد الكفاية، حتى صار الخلاف في المسائل معدوداً في حجج الإباحة، ووقع فيما تقدم وتأخر من الزمان، الاعتماد في جواز الفعل على كونه مختلفاً فيه بين أهل العلم»[١١]. ويقول: «وربما صرح صاحب هذا القول بالتشنيع على من لازم القولَ المشهورَ، أو الموافق للدليل، أو الراجح عند أهل النظر، والذي عليه أكثر المسلمين، ويقول له: «لقد حجرتَ واسعاً، ومِلتَ بالناس إلى الحرج، وما في الدين من حرج»[١٢]. وعقب قائلاً: «وهذا القول خطأ كله، وجهل بما وُضِعت له الشريعة»[١٣]. إلى أن قال: «قلَّ الورع والديانة في كثير ممَّن ينتصب لبثِّ العلم والفتوى كما تقدَّم تمثيله، فلوفُتِحَ لهم هذا الباب لانحلت عُرى المذهب، بل جميع المذاهب؛ لأن ما وجب للشيء وجب لمثله»[١٤]. وهذه الأقوال والردود من الشاطبي أرددها على الذي أجاب على شاشته الفضائية، عندما اعتُرِض على تخليطاته وتلبيساته، فقال إن هؤلاء يقولون ما لا يفهمون[١٥]. فهلاّ اتقى الله فيما يقول! ❑

[انتهى]

---

١ ـ الموافقات. ج١. ص: ٤٤. بتحقيق الشيخ محمد حسين الخضر التونسي. دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء.
٢ ـ المصدر نفسه. ج١. ص: ٤٥.
٣ ـ المصدر نفسه. ج١. ص: ٤٣.
٤ ـ المصدر نفسه. ج١. ص: ٤٥.
٥ ـ المصدر نفسه. ج١. ص: ٥١.
٦ ـ المصدر نفسه. ج١. ص: ٥١.
٧ ـ المصدر نفسه. ج٢. ص: ١٩٧-١٩٩.
٨ ـ المصدر نفسه. ج٢. ص: ١٩٩-٢٠٠.
٩ ـ المصدر نفسه. ج٢. ص: ٣٦.
١٠ ـ المصدر نفسه. ج٢. ص: ٣٧.
١١ ـ المصدر نفسه. ج٤. ص: ٧٨.
١٢ ـ المصدر نفسه. ج٤. ص: ٧٩.
١٣ ـ المصدر نفسه. ج٤. ص: ٧٩.
١٤ ـ المصدر نفسه. ج٤. ص: ٨٢.
١٥ ـ الشيخ يوسف القرضاوي في إحدى حلقات في برنامج (الشريعة والحياة). والموضوع تغير الأحكام، أو تجديد الخطاب الديني، أو ما شاكل ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام].

ذكر سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات: «إنها المواجهة بنموذج من بأس الله سبحانه، نموذج يعرض ويفسر كيف يتعرض الناس لبأس الله، وكيف تكون عاقبة تعرضهم له، وكيف يمنحهم الله الفرصة بعد الفرصة، ويسوق إليهم التنبيه بعد التنبيه؛ فإذا نسوا ما ذكروا به، ولم توجههم الشدة إلى التوجه إلى الله والتضرع له، ولم توجههم النعمة إلى الشكر.. كانت فطرتهم قد فسدت الفساد الذي لا يرجى معه صلاح، وكانت حياتهم قد فسدت الفساد الذي لا تصلح معه للبقاء؛ فحقت عليهم كلمة الله، ونزل بساحتهم الدمار الذي لا تنجو منه ديار...

لقد أخذهم الله بالبأساء والضراء ليرجعوا إلى أنفسهم، لعلهم تحت وطأة الشدة يتضرعون إلى الله ويتذللون له، وينزلون عن عنادهم واستكبارهم، ويدعون الله أن يرفع عنهم البلاء بقلوب مخلصة... ولكنهم لم يفعلوا، ولم يلجأوا إلى الله، وكان الشيطان من ورائهم يزين لهم ما هم فيه من الضلال والعناد: ﴿ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

والقلب الذي لا ترده الشدة إلى الله قلب تحجر، فلم تعد الشدة تثير فيه الإحساس! وتعطلت أجهزة الاستقبال الفطرية فيه، فلم يعد يستشعر هذه الوخزة الموقظة التي وردته إلى ربه، وكانت رحمةً له من الرحمة التي كتبها الله على نفسه..

فأما هذه الأمم التي كذبت بالرسل... فإنهم لما نسوا ما ذكروا به، وعلم الله سبحانه أنهم مهلكون... فتح عليهم أبواب كل شيء، للاستدراج بعد الابتلاء.

والتعبير القرآني ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ يصور الأرزاق، والخيرات، والمتاع، والسلطان... متدفقة كالسيول، بلا حواجز ولا قيود... ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾ وغمرتهم الخيرات والأرزاق المتدفقة، واستغرقوا في المتاع بها، والفرح لها، بلا شكر ولا ذكر، وخلت قلوبهم من الاختلاج بذكر المنعم، ومن خشيته وتقواه، وانحصرت اهتماماتهم في لذائذ المتاع، واستسلموا للشهوات... وتبع كل ذلك فساد النظم والأوضاع، بعد فساد القلوب والأخلاق، وجر هذا وذاك إلى نتائجه الطبيعية من فساد الحياة كلها... عندئذٍ جاء موعد السنة التي لا تتبدل: ﴿ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ فكان أخذهم على غرة، وهم في سهوة وسكرة،

فإذا هم حائرون، وإذا هم مهلكون بجملتهم حتى آخر واحد منهم ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ ودابر القوم هو آخر واحد منهم، فإذا قطع هذا فأوائلهم أولى. و﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ تعني هنا الذين أشركوا..

﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تعقيب على استئصال الظالمين (المشركين)، بعد هذا الاستدراج الإلهي، والكيد المتين... وهل يحمد الله على نعمة، أجل من نعمة تطهير الأرض من الظالمين؟ أو على رحمة أجل من رحمته لعباده بهذا التطهير؟

لقد أخذ الله قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، كما أخذ الفراعنة، والإغريق، والرومان، وغيرهم، بهذه السنّة. ووراء ازدهار حضارتهم ثم تدميرها... هذا التفسير الرباني.

ولقد كان لهذه الأمم من الحضارة، وكان لها من التمكين في الأرض، وكان لها من الرخاء والمتاع، ما لا يقل عما تتمتع به اليوم أمم، مستغرقة في السلطان والرخاء، والمتاع، مخدوعة بما هي فيه، خادعة لغيرها ممن لا يعرفون سنة الله في الشدة والرخاء...

هذه الأمم لا تدرك أن هناك سنة، ولا تشعر أن الله يستدرجها وفق هذه السنة، والذين يدورون في فلكها يستدرجهم اللألاء الخاطف، ويتعاظمهم الرخاء والسلطان، ويخدعهم إملاء الله لهذه الأمم، وهي لا تعبد الله، أو لا تعرفه، وهي تتمرد على سلطانه، وهي تعيث في الأرض فساداً.

ويقول سيد قطب رحمه الله: ولقد كنت، في أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأميركية، أرى رأي العين مصداق قول الله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فإن المشهد الذي ترسمه هذه الآية... تشهد تدفق كل شيء من الخيرات والأرزاق بلا حساب!.. لا يكاد يتمثل في الأرض كلها كما يتمثل هناك. وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي هم فيه، وشعورهم بأنه وقف على "الرجل الأبيض"، وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية بشعة، وفي صلف على أهل الأرض كلهم، لا يقاس إليه صلف النازية، الذي شهر به اليهود في الأرض كلها، حتى صار علماً على الصلف العنصري، بينما الأميركي الأبيض يزاوله تجاه الملونين في صورة أشد وأقسى! وبخاصة إذا كان هؤلاء الملونين من المسلمين... كنت أرى هذا كله، فأذكر الآية، وأتوقع سنة الله، وأكاد أرى خطواتها، وهي تدب إلى الغافلين...

وإذا كان الله قد رفع عذاب الاستئصال بعد بعثه رسول الله ﷺ، فهناك ألوان من العذاب باقية. والبشرية، وبخاصة الأمم التي فتحت عليها أبواب كل شيء، تذوق منها الكثير... إن العذاب النفسي، والشقاء الروحي، والشذوذ الجنسي، والانحلال الخلقي... الذي تقاسي منه هذه الأمم اليوم ليكاد يغطي على الإنتاج والرخاء والمتاع، وليكاد يصبغ الحياة كلها بالنكد والقلق والشقاء.

وليس هذا كله إلا بداية الطريق. وصدق رسول الله ﷺ:«إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا، على معاصيه، ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا:﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾.

غير أنه ينبغي، مع ذلك، التنبيه إلى أن سنة الله في تدمير (الباطل) أن يقوم في الأرض (حق) يتمثل في أمة... ثم يقذف الله بالحق على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق... فلا يقعدن أهل الحق كسالى يرتقبون أن تجري سنة الله بلا عمل منهم ولا كد، فإنهم حينئذ لا يمثلون الحق، ولا يكونون أهله... والحق لا يتمثل إلا في أمة تقوم لتقرّ حاكمية الله في الأرض ❑

آن الأوان

أَخَـــا الإِسْـــلاَمِ لَبَّيْـــكُمْ أَتَيْـــنَا ... نَـذُودُ عَـنْ الحِمَـى وَعَـن الـذِّمَـارِ
غَـــدَاً يَـــا شَـــيْخُ نُعْلِـــنُ لِلْبَـرَايَـــا ... خِلاَفَـــةَ مُسْـــلِمِينَ بِـــلا دِثَـــارِ
فَسُـلَّ السَّـيْفَ وَاكْسِـرْ كُـلَّ غِمْـدً ... فَقَـــــدْ آنَ الأَوَانُ لِلانْتِصَـــــارِ
وَقَـــدْ آنَ الأَوَانُ لأَخْـــذِ ثَـــأْرٍ ... لِكُـــلِّ دَمٍ أَرَاقَتْـــهُ الضَّـــوَارِي
سَنَشْـــأَرُ لِلْمَسَاجِـــدِ هَدَّمُوهَـــا ... سَنَشْـــأَرُ لِلْصَـــبَايَا وَالجَـــوَارِي
سَنَشْـــأَرُ لِلشَّـــهِيدِ وَمَـــنْ أُصِـــيبُوا ... وَمَـــنْ فَقَـــدُوا بُيُوتَـــاً بِالـــدَّمَارِ
سَنَشْـــأَرُ لِلسَّـــجِينِ وَمَـــنْ أُهِينُـــوا ... وَمَـــنْ سِيقُـــوا إِلى سِـــجْنِ الـمَـــطَارِ
سَنَشْـــأَرُ لِـلْـخِـلاَفَـــةِ أَسْـقَـطُـوهَـــا ... وَنُعْلِـــنُ فَـجْـــرَهَا غَسْـــلاً لِعَـــارِ
سَنُـطْـفِـئُ حُرْقَةً فِـي القَـلْـبِ تَـغْـلِـي ... مَعـــاً نُعْلِـــي العُـــقَابَ كَجُلِّـــنَارِ
أَلَـــيْسَ غَـــداً لِنَـــاظِرِهِ قَرِيبـــاً ... وَبَعْـــدَ اللَّيْـــلِ مُنْـــبَلِجٌ نَهَـــارِي
فَطِـبْ نَـفْساً وَلا تَـعْـجَـلْ عَـلَـيْـنَـا ... فَـــنَصْرُ اللهِ يَـــأْتِي بِاقْتِـــدَارِ
أَخَـا الإِسْـلاَمِ لا تَـعْـجَـلْ عَـلَـيْـنَـا ... فَـــإِنَّ اللهَ بَشَّـــرَ بِالْتِصَـــارِ
فَإِخْـــلافٌ وَتَـــمْكِـــينٌ وَأَمْـــنٌ ... بِـمَـــوْعُودِ الإِلَـــهِ فَمَـــنْ يُـــبَارِي
فَـقُـولُـــوا لِلأَعَـــادِي لا نَجَـــاةٌ ... وَلا يُـــجْدِي التَّسَـــتُّرُ بِاعْتِـــذَارِي
وَإِنَّـــا يَـــا أَخِـــي قَـــوْمٌ أُبَـــاةٌ ... وَلا نُعْطِـــي الدَّنِيَّـــةَ بِالْـــكِسَارِ
وَنَحْـنُ النَّـاسُ أَسْرَجْـنَـا خُـيُـولاً ... وَلا تَـثْـنِـي عَزِيمَـتَـنَـا الصَّـحَارِي
فَـتِـيـهِـي أُمَّـتِـي بِالحَـقِّ زَهْـواً ... فَشِـرْعَةُ أَحْمَـدٍ تَـأْبَى انْدِثَـارِي
وَيَـا أَقْصَـى فَـلا تَـحْـزَنْ عَـلَـيْـنَـا ... وَقُـلْ صَـبْراً فَبِالـمَـوْلَى اصْطِـبَارِي
أَيَـا جُـنْـدَ الخِـلافَةِ فَـلْـتَـهُـبُّـوا ... أَزِيلُـوا كُـلَّ عَـرْشٍ مُسْتَـعَـارِ
وَسُـلُّوا سَـيْفَكُمْ لِلثَّـأْرِ هَيَّـا ... وَهُبُّـوا لِلشَّـهَادَةِ وَالحَـوَارِي
فَـفِـي الجَـنَّـاتِ آلاءٌ عِـظَـامٌ ... وَأَنْهَـارٌ وَأَلْـوَانُ الثِّمَـارِ
فَـوَا شَـوْقَـاً لِلُقْيَـا مُصْطَفَانَـا ... نَبِـيِّ اللهِ أَحْمَـدَ بِانْتِظَـارِ
وَوَاشَـوْقَاً لِعِـزَّةِ مَـنْ أُذِلُّـوا ... بِـلا ذَنْـبٍ وَهُـمْ أُسْـدُ القِفَـارِ
وَوَاشَـوْقَاً لِصُـبْحٍ أَنْـتَ فِيـهِ ... أَمَـيرٌ لِلْجِهَـادِ فَـلا تُمَـارِي

فَقَـــدْ آنَ الأَوَانُ لِسَـــيْفِ سَـــعْدٍ ... وَخَالِـــدَ وَالْـمُثَنَّـــى وَالـــزُّرَارِي
وَعَـــبَّاسِ بْـــنِ نَضْـــلَةَ أَهْـــلِ حَـــرْبٍ ... عَـــدُوٍّ لِلْمَـــذَلَّـــةِ وَالصَّـــغَارِ
أَبَـــا يَاسِـــينَ أَعْلِنْـــهَا وَزَمْجِـــرْ ... شَـــبَابُكَ أَهْـــلُ طَـــوْعٍ لِلْقَـــرَارِ
وَنَـــادِ علـــى الرُّبُـــوعِ أُقِـــيمَ عَـــدْلٌ ... نَخُـــوضُ البَحْـــرَ طَيَّـــاً لِلْبِحَـــارِ
وَلَقِّـــنْ جُنْـــدَ بُـــوشٍ أَلْـــفَ دَرْسٍ ... فَفِـــي جُنْـــدِ العِـــرَاقِ ذُرَى الفَخَـــارِ
فَـهَـيْـبَـــةُ دَوْلَـــةِ الفِرْعَـــوْنِ أَضْـــحَتْ ... تُمَـــرَّغُ فِي الفَلُوجَـــةَ كَالْعِشَـــارِ
وَهَيْبَـــةُ دَوْلَـــةِ الصِّهْـــيُونِ هَانَـــتْ ... وَفِي طِفْـــلِ الحَصَـــى خَيْـــرُ اخْتِبَـــارِ
وَهَـيْـبَـــةُ مَـــنْ تَسَـــلَّطَ فِي بِـــلادِي ... بِنَعْـــلِ القُـــدْسِ قَـــدْ صُـــفِقُوا كَفَـــارِ
وَأَطْفَـــالٌ بَسَالَتُـهُـــمْ أَثَـــارَتْ ... بَسَـــالَةَ مُسْـــلِمِينَ بِكُـــلِ دَارِ
أُخَيَّـــاتٌ تُحَـــارِبُ يَـــا رِجَـــالاً ... أَذَلَّـــتْكُمْ قُيُـــودٌ كَالسِّـــوَارِ
فَـــلا نَامَـــتْ لأَعْيُنِـــكُمْ جُفُـــونٌ ... دُعَـــاةُ الجُـــبْنِ فِي يَـــوْمِ الفَخَـــارِ
جُيُـــوشٌ وَالسِّـــلاحُ لَكُـــمْ لِبَـــاسٌ ... كَفَـــى جُبْنـــاً أَلا تَقْـــوَى لِنَـــارِ
سَـــأَلْتُ اللّـــهَ نَصْـــرَكَ يَـــا خَلِيلِـــي ... لَعَلِّـــي أَشْـــعَثٌ فَـــانْفُضْ غُبَـــارِي
أَيَا رَبَّ السَّـــمَـــاءِ وَأَنْـــتَ حَـــسْـــبِي ... فَـأَظْـــهِـرْنَـــا عَـلَـى دُوَلِ الضِّـــرَارِ ❑

(تتمة مستقبل البشرية)

٢- «إن الله زوى لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنّ أمتي سيبلغ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منها..» (رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه).

٣- «تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»، ثم سكت. [رواه أحمد والبزار والطبراني].

إن هذه الأحاديث واضحة في أن عودة الإسلام ستكون سياسية وحضارية، بدليل ألفاظ «المُلْك» و«الخلافة» و«إعزاز الإسلام». وآنذاك سوف تشهد البشرية، بإذن الله، كما شاهدت وشَهِدَتْ، أن اليد الآمنة التي ستمتدُّ إلى بقاع الأرض، سوف تمسح دمعة الحزين، وتداوي جُرْح الأليم، وتربّت على كتف اليائس، وستقتحم القلوب بدون استئذان، ولو اسْتَأْذَنَتْ لَمَا صُدَّتْ، ولن يرى مَنْ خالف الإسلام مِلّةً، إلا عَدْلاً وتسامحاً في أداء الشعائر، وفي الاعتقاد... وإن غداً لناظره قريب ❑

أيمن أحمد رؤوف القادري

كلمة أخيرة

النجف والفلوجة وما بينهما

نقاط الالتقاء كثيرة بين النجف والفلوجة على الرغم من خصوصية النجف، فهما من أبرز المدن العراقية التي قاومت الاحتلال الأميركي للعراق، وسقط منهما مئات الشهداء، ولا يمضي يوم إلا وتذكر إحداهما أو كلاهما في وسائل الإعلام كعنوانين مشرِّفين في مقارعة الاحتلال، وما يعنيه ذلك من رمزية تشير إلى نوعية المقاتل المسلم الذي يواجه الطائرات والدبابات والصواريخ ببندقية وقاذفة.

أما نقاط الاختلاف، فإن من أبرزها أن النجف لها مدلولات سياسية ودينية، تعطي من يمسك بها أهمية وقوة لا تتوفر لغيره؛ لأن القرار الديني (المرجعي) لفريق من أهل العراق يكمن في ذلك المكان، والقرار الديني له قدرة على تطويع القرار السياسي أو تعطيله؛ لذلك حصلت المعركة الأخيرة لكونها معركة من يمسك القرار؟ واختلطت الأوراق في تلك المعركة بين المحلي والأجنبي، والعربي وغير العربي، فظهر الصراع المتعدد الوجوه، فانكشفت وجوه عديدة، كانت تلبس قناع الطهر، فإذا بها تعمل أداة من أدوات الاحتلال، وحيكت الرواية حياكةً دقيقةً خفيت تفاصيلها على العديد من المتابعين، إلا أن شطراً كبيراً من أهل النجف فهموا اللعبة، وكذلك أهل العراق.

لقد أُحرج الجميع، وحُشر الجميع، وتساقطت أوراق، وظهر من يعمل بأمر الاحتلال الأميركي ممن كانوا يتظاهرون بعكس ذلك، ولم يكن أحد يصدق قبل هذه المعركة أن يكون عدد المتعاونين مع الاحتلال قد بلغ هذا الحد، وقد فضحهم صمتهم في أقطار عدة، وفضحتهم مسرحياتهم التي تم إخراجها بدقة، لكن حبل الكذب قصير، ومهما حاول المزيفون تزييف الحقائق، فإن ألاعيبهم سوف تظهر للناس، وحينها لا يُفيد الخداع. اللهم احفظ هذه الأمة من أعداء الداخل والخارج ❑

إسرائيل تتجسس على ذاتها

- أعلنت السلطات الأميركية أنها ضبطت جاسوساً إسرائيلياً في وزارة الدفاع الأميركية، وذلك في الأسبوع الأخير من شهر آب. أما في الأسبوع الأول منه، فقد كُشف عن جاسوس إسرائيلي آخر، هو ضابط الموساد (غولان سيبيل)، والذي كان يعمل ضابط أمن في القنصلية الإسرائيلية، ثم قام حاكم ولاية نيوجرسي بتعيينه منسقاً أمنياً لشؤون الولاية، وضابط ارتباط مع هيئات الحكومة المختصة، وذلك بسبب أن هناك علاقة عشق بين الرجلين، اعترف بها حاكم الولاية، بعد الابتزاز المستمر للجاسوس الإسرائيلي لذلك الحاكم، من خلال شريط فيديو بحوزته.
- ذكرت الصحف الأميركية أن الضابط الأمني اليهودي في ولاية نيوجرسي يستطيع من خلال منصبه أن يخترق وزارة الأمن الداخلي الأميركي، بسبب كونه ضابط ارتباط مع هيئات حكومية مختصة بالأمن الداخلي. وبذلك يكون اليهود قد زرعوا (حسب ما أعلن فقط) جاسوساً في الداخلية وجاسوساً في وزارة الدفاع، هذا عدا عن الجواسيس الذين لم يكتشفوا بعد، وذلك ليس مستغرباً بسبب الآلاف من اليهود ممن يحملون الجنسيتين الأميركية والإسرائيلية، وبسبب وجود الآلاف من الأميركيين الذين ينتمون لما يسمى (اليمين المتَصَهْيِنْ)، والذين يريدون خدمة اليهود أكثر من بعض اليهود القاطنين في إسرائيل ذاتها.
- لا عجب إذاً أن يقال إن (إسرائيل) تتجسس على ذاتها، فوحدة الحال الموجودة الآن بين أميركا (وإسرائيل) لم تُبقِ ستراً مغطى، خاصة وأن الدولتين وجهان لعملة واحدة، فماذا بقي من شيء لم تعطه أميركا لربيبتها إسرائيل؟ وبإمكان بوش أن يقول لشارون أنت أنا، وأنا أنت، فمن أنا؟ أي إن أميركا في عهد بوش أصبحت مستنسخة من إسرائيل، صارتا وكأنهما كيان واحد.
- لقد أعطتهم أميركا المال (٣ مليارات نقداً سنوياً)، وأعطتهم السلاح، والطائرات الحديثة، والدبابات، والصواريخ، وسهلت لهم امتلاك أسلحة الدمار الشامل، والمفاعلات النووية، وأعطتهم الفيتو في مجلس الأمن عشرات المرات، وأعطتهم معلومات عن العرب، والمسلمين، والفلسطينيين، علناً ويداً بيد، ودعمت تهجير أهل فلسطين، وهي تدعم الآن توطينهم حيث هم، ودعمت الجدار العازل، وغزت العراق، ونهبته، ودمرته، ولا تزال، كرمى لعيونهم، ولم يشبعوا، فعلاً إن دولة (إسرائيل) لا تأمن حتى لنفسها، وهذا يؤكد عقدة الخوف، والشك، وعدم الشعور بالأمن، لدى هؤلاء، وهذا مقتلهم إذا ما أُجيد التعامل معه ❑